مفاهيم إسلامية

(٢)

يسقط اليسار المصري

obeikan.com

obeikan.com

الدور المشبوه لليسار الأمريكي في مصر

(١)

الصراع الفكري في البلاد المستعمرة صراع متنوع ومتشعب، والبلاد المستعمرة هنا نقصد بها – تلك البلاد الواقعة تحت الهيمنة الاستكبارية للدول الكبرى، الرأسمالية منها أو الشيوعية. وإذا كان الاستعمار المباشر قد رحل عن معظم بلداننا - فإن بلادنا ما زالت مستهدفة – أو خاضعة – لأشكال أخرى من الاستعمار أو الهيمنة الاقتصادية أو السياسية – أو الدخول في محاور شرقية أو غربية.

والعالم الآن – كقرية صغيرة؛ بحكم وسائل الاتصال الحديثة، وبحكم تعقُّد وتداخل المصالح والأهداف الاستكبارية للقوى الكبرى.

ومن البديهي أن تحاول القوى الاستكبارية في عالمنا المعاصر – أن تحاول باستمرار خلق مناخ سياسي واقتصادي واجتماعي ملائم لأهدافها في بلادنا.

ومن البديهي - أيضًا – أن شعوبنا تحاول باستمرار التخلص من السيطرة الاستكبارية، ولفظ أشكال التبعية والتخلف، ومن البديهي أن ينشأ بين الطرفين – وبين الهدفين صراع مرير وقاسٍ وطويل.

وهذا الصراع يشغل مساحات واسعة جدًا. سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، وأشكال الصراع متداخلة متشابكة بحيث يصعب أن نطلق على إحداها سياسية والأخرى اقتصادية والثالثة ثقافية إلخ. إن كل المجالات ذات صلة مباشرة وغير مباشرة ببعضها بعضًا.

والصراع بين الطرفين صراع له قواعده؛ فالقوة الأولى هي الدوائر الاستكبارية

في العالم، وتمتلك أحدث الأسلحة – وأقوى الجيوش، ووسائل اتصال حديثة، وأجهزة تجسس مختلفة، وبنوك وأموال وشركات واحتكارات وحكومات عميلة أو نصف عميلة ودوائر أبحاث عملية واجتماعية. أمَّا القوة الثانية؛ فتمتلك طاقات إنسانية تضم كل المستضعفين في العالم وهم أغلب سكان هذا الكون.

وقد يبدو للوهلة الأولى – أن توازن القوى بين المعسكرين مختل تمامًا لصالح المستكبرين. وهذا غير صحيح إطلاقًا بل لعله أحد وسائل المستكبرين في استمرار سيطرتهم.

إن المعسكر الثاني – يملك طاقات هائلة – فالإنسان أساسًا أقوى من التكنولوجيا، والمستضعفون يمتلكون حلم الثورة.. وهو حلم كفيل بقلب ميزان القوى لصالح إقامة مجتمع العدل والحرية وإنهاء آلام العالم ومظالم المستكبرين.

والمعسكر الاستكباري – يدرك هذه الحقيقة ويعيها تمام الوعي؛ وبالتالي فلو أن المستضعفين خاضوا المعركة لانتصروا.

إن القضية – ليست في مَنْ سينتصر إذا ما نشبت المعركة لأن انتصار المستضعفين أمر مفروغ منه. ولكن القضية أن المستكبرين يستهدفون دائمًا وأبدًا إلى منع المعركة من النشوب – ووسائلهم في هذا كثيرة ومتشعبة، وهذا هو سر أهمية الصراع الفكري.

إن طلائع المستضعفين – عليها الآن واجب حتمي – في منع الوسائل الاستعمارية من تحقيق ثمارها؛ وبالتالي قيادة المستضعفين لخوض المعركة وتحرير البشرية.

ووسائل المستكبرين في منع المستضعفين من دخول المعركة. من التنوع والتعقيد بحيث تستحق اهتمامًا دؤوبًا من طلائع المستضعفين، ومن هذه الوسائل الاستكبارية تخدير المستضعفين – نشر الجهل – الفقر – المرض – الاستبداد

السياسي، التحليل الخاطئ للظواهر، زرع مؤسسات وأحزاب للتضليل، افتعال معارك جانبية، جر المستضعفين إلى معارك ثانوية. خلق زعامات هشة أو عميلة إلخ.

(٢)

معركتنا – في مصر والعالم الإسلامي اليوم هي معركة في طليعة معارك المستضعفين في العالم.

أولاً : لأن عالم المستضعفين معظمه من المسلمين.

ثانيًا : لأن الإسلام – والإسلام وحده – هو الوحيد القادر على تحقيق التلاحم وضمان النصر المستضعفين.

ثالثًا : لأن المنطقة التي نعيش فيها هي أهم المواقع التي يريد المستكبرون استمرار السيطرة عليها.

وإذا أخذنا ما سبق في الاعتبار – وإذا أدركنا التحديات التي تواجهنا فإن خطوة هامة على طريق النصر تكون قد أنجزت.

إن أهم التحديات التي نواجهها هنا – هي التحدي الصهيوني باعتباره رأس الحربة الاستكبارية، وهي الاستبداد السياسي، وهي التصدي لمحاولات التقريب وإفقادنا للهوية والتميز – وهي النضال من أجل الكادحين في مواجهة دوائر الاحتكار والسمسرة ومص الدماء؛ وكل العوامل السابقة متداخلة تمامًا وهي معركة واحدة وغير منفصلة.

(٣)

إننا سنقدم هنا – جهدًا متواضعًا في الصراع الفكري. ولا شك أن هناك الكثيرين الذين سبقونا في هذا المجال، ولا شك أيضًا أننا نأمل من المتخصصين وطلائع المستضعفين أن يبذلوا جهدًا أكبر وعملاً دءوبًا في هذا المجال.

إننا سنركز هنا على الدور المشبوه الذي يلعبه – في السنوات الاخيرة – ما يسمى باليسار الأمريكي في مصر، ولا يعني هذا أن نغفل الدور المشبوه الذي لعبه اليسار منذ نشأته في مصر – كما لا يعني هذا أن اليمين لا يؤدي دورًا مشبوهًا. بل إننا نعتقد أن اليسار واليمين على حد سواء يؤديان نفس الدور بوسائل متشابهة أحيانًا ومختلفة غالبًا.

إن هذا الجهد المتواضع – فرصة لمعرفة أساليب الاستكبار الخبيثة والملتوية، والتي يقوم بها عن طريق مؤسسات التغريب والأحزاب اليمينية واليسارية.

ليس هذا الجهد – موجهًا إلى التشهير بتيار سياسي مثلاً. ولكنه مجرد إضاءة على الوسائل الاستكبارية لفضحها – وتحصين المواقع الجماهيرية ضدها لقضية النصر وحلم الخلاص.

(٤)

إننا نؤمن أن القوى العلمانية في بلادنا – قوى خائنة على المستوى الاستراتيجي – وليس هذا بلاغًا إلى السلطات– لأننا لن نقدم وثائق بل سنقدم استقراءً سياسيًا. ونحن أيضًا نرفض استخدام الوسائل البوليسية في ضرب القوى السياسية.. إننا نريد صراعًا سياسيًا ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ . وإيماننا بأن العلمانية في بلادنا خائنة – تنبع من استقرائنا لتاريخنا القديم والمعاصر والحديث، ولفهمنا لحقيقة أهدافنا من ناحية – ولحقيقة الدور المعوق الذي تلعبه تلك القوى، إننا نؤمن أن المشكلة لا تكمن فقط في السياسات الخاطئة التي تمارسها حكوماتنا بل في أن المعارضة العلمانية تكمل حلقة التضليل من جهة أخرى.

والأمر يبدو كما لو كانت الحكومات والمعارضة العلمانية تكمل بعضها بعضًا في

هذا الإطار. أو كمن يضع يده على عين الجماهير اليمني – ويضع الآخر يده على العين اليسرى والهدف واضح وهو حجب الرؤية وممارسة التعطيل وتخدير العملاق الذي إذا استيقظ فسيكون هائلاً يكتسح في طريقه حصون الاستكبار الهشة وأراجيف العملاء الملتوية.

إننا حين نتهم القوى العلمانية «بالخيانة الاستراتيجية» فإننا نستند على عدد من الحقائق والأفكار – التي تؤيد ذلك وتعضده. أولها أنها قضية تحرر وطني؛ وبالتالي فأي هدم أو تعطيل أو تأخير أو تحويل للمسار عن مجراه الطبيعي عن عمد يعد خيانة وطنية، وحقيقة أن شعورنا الجماعي وروح الانتماء فينا هي إحدى أهم أسلحتنا في قضية التحرر، وأصبحت قضية لا شك فيها؛ وبالتالي فإنه أي جهد في غير هذا الاتجاه خيانة حقيقية.

إن الأستاذ طارق البشري مثلاً. والذي اكتشف هذه الحقيقة بعد أن غابت عنه – كان من الشجاعة بحيث إنه راجع نفسه وأعلنها جهارًا نهارًا.

يقول الأستاذ طارق البشري في ص٤١ – من مقدمة كتابه «الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ – ١٩٥٢» الطبعة الثانية دار الشروق ١٩٨٢:

«لقد أصبحت الآن أكثر قدرة على إدراك مدى التدمير الذي يلحقه تدفق موجات التقريب، على هويتنا وشعورنا الجماعي وروح الانتماء فينا – مما من شأنه أن يصيب قضية الاستقلال والتحرر بأعظم الخلل – وعلينا أن نلاحظ حرص الاستعمار دائمًا على زرع ثقافته وأنماط فكره وحضارته ولغاته فينا – وشغفه بإحلال كل ذلك محل ما لنا مما ورثناه وبتغييب وعينا التاريخي – لقد عقد الاستعمار العزم على أن يكون حاكما لشعوبنا ولا بد من جامع يجمع الحاكم والمحكوم – ولا يستقر لحاكم سلطان إلا بهذا الجامع وهنا يلعب نشاطه الثقافي دوره الحاسم في تغيير

العقول والقلوب منا، أنه يلحقنا به سياسيًا واقتصاديًا، وعليه لاستدامة ذلك أن يلحقنا به فكريًا وحضاريًا. وهذا ما يعبر عنه البعض بالاستعمار الفكري والحضاري.

وأهمية هذا الأمر أن صراعنا والاستعمار لا يتعلق فقط بشيء خارج ذواتنا فنحن كجماعة بشرية موضوع للصراع، ولسنا طرفًا فيه فقط، وطلبة الاستعمار ليست أرضًا لنا جرداء ولكن طلبته هي نحن البشر بما نملك، وأي حركة للمقاومة لدينا ليس من شأنها أن توجد وتنمو إلا أن تستند إلى تميز وثيق لنا في الهوية والانتماء؛ أي أن ندرك ذاتنا الجماعية في تميز وثيق ولنا في الهوية والانتماء، أي أن ندرك ذاتنا الجماعية في تميزها واستقلالها ولا يتأتى ذلك إلا بإدراك أكيد لتاريخنا المتميز ولمجمل الموروث الفكري والحضاري فينا. ويضيف الأستاذ طارق البشري نحن نلاحظ على مدار عشرات السنين السابقة هذا الجهد الدؤوب الذي قامت به وتقوم به المؤسسات الثقافية الاستعمارية في بلادنا تروج مفاهيمها وتطمس كل مميز فكري وحضاري لنا وتعمل لطمس ماضينا وتفريغنا منه».

اليمين واليسار على حد سواء. واقعان في الخيانة الاستراتيجية وموضوعنا هو الدور المشبوه لليسار الأمريكي ونقصد به حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي (حدتو).

ولليسار في بلادنا قصة لا تجعله خائنًا على المستوى الاستراتيجي فحسب بل على المستوى التكتيكي أيضًا، وهناك عدد من الحقائق ينبغي هنا أن نسجلها باعتبارها لم تعد محل خلاف بين كل المفكرين على اختلاف مشاربهم.

إن اليسار نشأ في بلادنا على يد الأجانب عمومًا – واليهود منهم خصوصًا – حدث ذلك في العراق وفلسطين ولبنان ومصر، وفي حالة مصر مثلاً نجد أن الحركة

الشيوعية نشأت على يد جوزيف روزنتال (تاجر ذهب يهودي) – هليل ستوارتز – هنري كورييل والجميع يهود. «راجع كتابات د. رفعت السعيد عن تاريخ الحركة اليسارية في مصر – وبالمناسبة فالدكتور رفعت نفسه ينتمي إلى ذات الحركة».

إن ملف الخيانات والمواقف المشبوهة للأحزاب الشيوعية مثلاً – كبير وضخم؛ فالحزب الشيوعي العراقي مثلاً عارض مشروع تأميم النفط في العراق – ودعا العمال والكادحين في العراق إلى الوقوف بوجه مشروع التأميم!!!

كما عارض الحزب الشيوعي العراقي مشروع الوحدة بين العراق وسوريا ومصر وقد تطابق ذلك الموقف مع موقف دعاة الملكية في العراق ومصر الذين كانوا يعارضون هذا المشروع وكذلك تطابق مع موقف الكيان الصهيوني في هذا الصدد.

وعندما قرر العرب إرسال قواتهم المسلحة لمحاربة إسرائيل عارض الحزب الشيوعي العراقي خطوة إرسال المتطوعين المجاهدين العراقيين إلى جبهات الحرب، وأصبح يشيع بين الناس أن هذه الحرب هي حرب استعمارية بل ونظم المسيرات المؤيدة للمؤامرة الدولية الكبرى التي حاكتها أمريكا وبريطانيا والاتحاد السوفيتي ضد المسلمين العرب والتي تمثلت بتأسيس الكيان الصهيوني على الأراضي الإسلامية في فلسطين السليبة.

كذلك الأمر بالنسبة للحزب الشيوعي السوري حيث أعلن الحزب عن مساعدته ودعمه لإبقاء المستعمر الفرنسي في سوريا وذلك إبان الحرب العالمية الثانية التي كانت كل من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية حلفاء للاتحاد السوفيتي فيها.

وقد أيَّد الحزب الشيوعي السوري – اتفاقية فرض الذل والخنوع من قبل فرنسا على القطر السوري – التي تم بموجبها إقامة قاعدة عسكرية فرنسية داخل

الأراضي السورية – وإنزال قوات فرنسية فيها.

وحزب تودة الشيوعي في إيران يدعم مشروع فصل كردستان وأذربيجان عن إيران.

أمَّا فيما يخص المواقف التي اتخذتها الأحزاب الشيوعية في البلدان العربية تجاه القضية الفلسطينية – فحدِّث ولا حرج. فقد أيدت جميع الأحزاب الشيوعية في المنطقة قيام إسرائيل – وكذلك أيدت قرارات التقسيم، وادعت أن الشعب اليهودي مظلوم ومن حقه إقامة دولة له على أرض فلسطين. بل إن الحزب الشيوعي الفلسطيني قاتل أحيانًا في صفوف اليهود!! «راجع في هذا الصدد د. محمد مورو – التحدي الاستعماري الصهيوني – وجهة نظر إسلامية دار الفتى المسلم – ١٩٨٥».

والحزب الشيوعي الجزائري عارض الكفاح المسلح الذي كانت تخوضه جبهة التحرير الجزائرية ضد فرنسا – وذلك مسايرة للحزب الشيوعي الفرنسي الذي كان ينادي بوجوب إلحاق الجزائر بفرنسا.

(٥)

ما الذي نقصده بكلمة اليسار الأمريكي في مصر؟!

وبداية فإن الحركات العلمانية في مصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامي مجرد حلقات صغيرة بين المثقفين، والحقيقة أن الجماهير ظلت دائمًا في حصن منيع ضد التغريب، ولم تستجب يومًا للتغريب يمينًا كان أم يسارًا، واليسار في مصر على وجه الخصوص مجرد حلقات بين المثقفين وقلة مثل كل القوى العلمانية، بل حلقاته أكثر ضيقًا، ولأسباب كثيرة – ليس هنا محل دراستها – فإن اليسار المصري شديد الانقسام – وكثيرة هي الأحزاب الشيوعية في مصر – وهي تتبادل باستمرار

الاتهامات بالخيانة والعمالة أو الانتهازية، والعجيب أن أكبرها لا يصل عدد أفراده إلى ١٠٠ عضو مثلاً وأصغرها ربما يصل إلى أقل من عشرة أفراد ومع هذا فكل حزب يدعي أنه ممثل الطبقة العاملة أو غيرها من الأكليشيهات المحفوظة والأحزاب الشيوعية في مصر لم تتوحد قط في تاريخها إلا مرة واحدة، كان ذلك قبيل حرب ١٩٤٨. ثم تمزقت مرة أخرى بعد الحرب. وهذا في حد ذاته يثير تساؤلاً هامًا: لماذا توحدت على العكس طبيعتها الدائمة – ولماذا كان ذلك قبيل حرب ١٩٤٨؟ هل توحدت لأسباب صهيونية؛ أي لتؤدي دورًا معينًا قبيل إعلان إسرائيل؟!!.

توحدت المنظمات اليسارية في يوليو عام ١٩٤٧ تحت اسم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني «حدتو» ثم انتهى التحالف وتمزقت الوحدة عام ١٩٤٩.

(بدايات ١٩٤٩ – ويمكننا اعتبار أوائل ١٩٤٩ بمثابة الإعلان النهائي لاندثار حدتو – وقد حدثت الانقسامات تباعًا بدءًا من نهايات ١٩٤٨. ويلاحظ أن قيام إسرائيل قد تم في ١٥ مايو ١٩٤٨ – والمعلومات السابقة من د. رفعت السعيد. تاريخ المنظمات اليسارية المصرية ١٩٤٠ – ١٩٥٠ دار الثقافة الجديدة – الطبعة الأولى – نوفمبر ١٩٧٦.

والسؤال عن أسباب الوحدة – ثم الانقسام وتوقيته محل شكل وريبة ليس باعتباره حدثًا غريبًا على الحركة الشيوعية في مصر فحسب وليس باعتبار التوقيت فحسب. ولكن لاعتبارات أخرى تؤكد الشك يقول الأستاذ رفعت السعيد – في ص٤١٤ من المرجع السابق «وكانت حدتو» – تنمو وتنمو معها مشاكلها – مشاكل التوحيد غير المبدئي بين تيارات غير متجانسة – ومشاكل للعمل الحزبي بغير مقومات – فلا برنامج ولا استراتيجية ولا تكتيك ولا حتى لائحة.

والشهادة السابقة من جنس ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ فلماذا كان التوحيد يا دكتور رفعت. ما دام أنه لا برنامج ولا استراتيجية ولا تكتيك ولا حتى لائحة؟!!

ولنستدعِ شاهدًا آخر من أهلها أيضًا – وهو أحد الكوادر الأساسية في قيادة ح. م (سيد سليمان رفاعي) كان يرى «أن الوحدة فُرِضَت فرضًا تحت مؤثرات خارجية – فقبل الوحدة وحل بعض أعضاء الحزب الفرنسي وممثليه من الحزب اللبناني والحزب الإسرائيلي وعملوا مناقشات» ص٣٧٧ – د. رفعت السعيد نفس المرجع.

وشاهد ثالث – من أهلها – يقول في ص٣٧٨ د. رفعت السعيد نفس المرجع – «كان كورييل هو القوة التي جرت ح. م. للوحدة» حسنًا – لماذا جاء الأجانب. ولماذا الفرنسيون واللبنانيون والإسرائيليون؟!

نعود الآن إلى السؤال. ما المقصود باليسار الأمريكي؟! وإذا كان الحديث عن انقسام الحركة الشيوعية – قد جرنا إلى الحديث عن المرة الوحيدة التي اتحدت فيها ولماذا اتحدت فإننا بالمناسبة سنقدم عرضًا سريعًا لأهم المنظمات اليسارية في مصر سابقًا والآن – لنحدد من داخلها المقصودين باليسار الأمريكي – ووفقًا لتقسيمة د. رفعت السعيد. فإن الحركة الشيوعية قد ضمت ثلاثة روافد أساسية كان يقود الأولى هنري كورييل، والثانية هليل شوارتز، والثالثة مارسيل إسرائيل وبالطبع ليس هنا مجال شرح الخلافات بينها. وبديهي أن تحت قيادة هؤلاء الثلاثة وهم يهود وأجانب كانت تظهر وتختفي عشرات الأسماء لمنظمات صغيرة متناثرة أمَّا الآن. فيمكننا أن نرصد امتدادات لتلك التيارات الثلاثة – وإن كان أهمها – هؤلاء المنتمين أو الذين يشكلون امتدادًا لمنظمة هنري كورييل «الحركة المصرية للتحرر الوطني» وهم المقصودون بكلمة اليسار الأمريكي – وهم أيضًا الذين يسيطرون

على قيادة حزب التجمع حاليًا. وعلى كل حال فإن مصطلح اليسار الأمريكي ليس من عندنا ولكنه من عند ماركسيين آخرين اتهموا هؤلاء بنفس التهمة – «تؤمن مجموعة يسارية مثل التورتسكيين» – الماديين ومنظمات ماركسية لينينية «حزب العمال الشيوعي المصري – التيار الثوري» بأن قيادة التجمع تمثل اليسار الأمريكي.

وفي الحقيقة فإذا كانت الخيانة الاستراتيجية تطل على كل العلمانيين من يمين ويسار للأسباب السابقة ذاتها على المستوى الاستراتيجي – ولأسباب تكتيكية منها أن بلادنا اليوم تتعرض للخطر الأمريكي المباشر والبشع ومنها أن رفع شعارات ماركسية على قوى أمريكية تخدم المخططات الأمريكية هو أمر غاية في الخطورة والبشاعة والخيانة.

إن اليسار المصري اليوم – ليس كله متهمًا – بالتأمرك – فهناك بالفعل يسار روسي ويسار مادي ويسار تروتسكي وهناك التيار الثوري. وخلافنا مع هؤلاء – رغم إيماننا بالخيانة الاستراتيجية للجميع – أقل طبعًا نظرًا لأن عدونا الأساسي الآن هو أمريكا؛ وبالتالي فالدور المشبوه الذي يلعبه اليسار الأمريكي هو الأخطر قطعًا – واليسار المادي هو أقل الجميع سوءًا لا شك.

إذن فاليسار الأمريكي هو الامتداد للحركة المصرية للتحرر الوطني (ح. م) التي أسسها هنري كورييل – وهو شخصية غامضة – يهودي – مليونير. لعب دورًا هامًا في الأربعينات في خدمة الصهيونية، واتهم المنادين بتخفيف التأييد لإسرائيل في داخل الحركة الشيوعية بأنهم انتهازيون وبرجوازية صغيرة إلى غير ذلك من التهم. كما لعب دورًا هامًا في التقريب بين المؤسسات الإسرائيلية وقطاعات خائنة في منظمة التحرير الفلسطينية في السبعينات من هذا القرن وقد اغتيل أخيرًا في أحد شوارع باريس.

وخطورة اليسار الأمريكي تأتي من كونه يدعي اليسارية؛ وبالتالي فهو مؤهل للقيام بدور مقاول جماهيري – يصرف الجماهير عن أيديولوجيتها الحقيقية – ويسير بها في مسارات جانبية، وكونه يدعي العداء لأمريكا يعطيه فرصة أكبر لأداء مهمته المشبوهة. وسوف نرى من خلال قراءتنا لجريدة الأهالي الناطقة باسم اليسار الأمريكي كيف لعب هذا اليسار دورًا هامًا في إجهاض التوجهات الثورية لشعبنا – وكيف مارس تزييف الحقائق وتفسير الأحداث بصورة تسحب تراكم الوعي الثوري لأمتنا. وكيف أنه في النهاية ساهم في تمرير الحلول الأمريكية برغم ادعائه معارضتها.

ومن الطبيعي أن أمريكا – وهي الكيان الاستعماري الأكبر حاليًا – من مصلحتها خلق وزرع مثل هذه المجموعات المشبوهة – وهي تعمل على توسيع وتضخيم تلك المجموعات ماديًا ومعنويًا خدمة للأهداف السابقة؛ ولكي تجعل الجماهير في حالة شك دائم من الثورة والثوريين على اعتبار أن الجماهير لا تريد الاستجارة من الرمضاء بالنار – خصوصًا وأن اليسار ذو سمعة سيئة جدًا وملفوظ شكلاً وموضوعًا في وجدان الجماهير وفي حسها التاريخي.

◆◆◆

شهادات ذات دلالات

سنقدم في هذا الفصل عددًا من الشهادات لمفكرين مرموقين حول الحركة الشيوعية في المنطقة. وكلهم لا يمكن الطعن في شهاداتهم لأسباب كثيرة. منها أنهم إما كانوا متعاطفين مع الحركة الشيوعية – أو كانوا قيادات لها.

الشهادة الأولى للأستاذ طارق البشري. ولا يمكن بحال من الأحوال أن يتهمه الماركسيون بالتحيز ضدهم. وهو مشهود له بالكفاءة والحياد. وهو مؤرخ مصري ويعمل مستشارًا بمجلس الدولة.

يقول الأستاذ طارق البشري ص١٧ في كتابه الشهير «الحركة السياسية – مرجع سابق» وبالنسبة للحركة الشيوعية– نقطة التحفظ الأساسية التي صارت لدي على ما ورد بالكتاب عن هذه الحركة، هي أنه مع الإيجابيات التي أدخلها الشيوعيون المصريون في الفكر السياسي المصري وفي الحركة الشعبية، مما أشير إليه في الكتاب – فثمة جانب آخر سلبي أشرت إليه في الكتاب سريعًا؛ لأني كنت أدركه بشكل ما، ولكن لم أكن أدرك وقتها كامل أبعاده وحقيقة توجهاته. ذلك هو الوجود الأجنبي اليهودي على رأس الكثير من التنظيمات الماركسية في الأربعينات، وقد أتاح الاطلاع على ما صدر فيما بعد من دراسات عن الحركة الشيوعية. أن أدرك الأبعاد الممتدة لهذا الوجود ووظيفته السياسية، إن هذا الوجود الأجنبي اليهودي في الحركة الشيوعية المصرية يبدو لي أنه لم يكن بعيدًا عن التحرك الصهيوني في المنطقة العربية في الأربعينات، وعما ساهم به هذا التحرك في إنشاء دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨، كما أن هذا الوجود كان يوجه نشاط الشيوعيين المصريين وجهة المجابهة ضد تيار الحركة السياسية الإسلامية.

وقد جاء هذا التوجه الأجنبي في الحركة الشيوعية المصرية، جاء بمناسبتين الأولى هي النشاط الصهيوني في فلسطين خاصة والبلاد العربية عامة منذ العشرينات ثم ثورة فلسطين ١٩٣٦ وفي الأربعينات، والمناسبة الثانية هي استعداد مصر للهيمنة الكاملة على سيادتها التشريعية والقضائية مع إلغاء الامتيازات الأجنبية في ١٩٣٧ – الأمر الذي جعل الأجانب المقيمين في مصر يتوجسون الحذر من الأنشطة المصرية بسائر فصائلها على وجودهم وامتيازاتهم الاقتصادية والاجتماعية، ويسعون أن يكون لهم دور ما في الحركة السياسية المصرية. وحسبهم من الحركة الشيوعية أن تكون ركيزة شعبية وفكرية لمقاومة التيارين الإسلاميين والقومي وهما تياران شعبيان – وأن تكون بوتقة لتذويب الشعور المصري بالتحيز والاختلاف عن الأجنبي وعن الغرب.

والشهادة الثانية من الأستاذ منير شفيق. مدير مركز التخطيط الفلسطيني وكان مسيحيًا وماركسيًا سابقًا وقد هداه الله إلى الإسلام.

يقول الأستاذ منير شفيق في كتابه «الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر» دار طه للنشر – لندن – ١٩٨٢ : إن الذي أفقد الجماهير حيويتها التي تميزت بها في الأربعينات وبداية الخمسينات هو الدور المشبوه الذي لعبه اليسار دائمًا. وهو دور إجهاض – إن جنين الثورة كان إسلاميًا دائمًا. وإن محاولات اليسار المستمرة لتشويه الجنين كانت تؤدي دائمًا إلى الإجهاض المبكر لكل زحف جماهيري وثوري.

والشهادة الثالثة. نقدمها من قادة حزب تودة الإيراني من خلال اعترافاتهم.

اعترافات نور الدين كيانوري

نور الدين كيانوري السكرتير الأول للجنة المركزية لحزب تودة في إيران «إني نور الدين كيانوري» انتميت إلى حزب تودة عام ١٩٤٢م وأصبحت عضوًا في اللجنة

المركزية منذ عام ١٩٤٥ – ١٩٤٦م، تم اعتقالي بعد حادثة الجامعة – التي تم فيها إطلاق النار على الشاه بعدها هربت من السجن وأمضيت عدة سنوات مختفيًا عن الأنظار وكان ذلك أيام النضال النفطي – هاجرت إلى أوربا – وأقمت لفترة قصيرة في الاتحاد السوفيتي – بعدها هاجرت إلى جمهورية ألمانيا الديمقراطية.

تم إقصائي من اللجنة المركزية للحزب لعدة سنوات (خلال أعوام ١٩٦١ – ١٩٧١م) بسبب اختلافات مع الأعضاء الآخرين – ثم انتخبت مرتين منذ أوائل السبعينيات عضوًا في اللجنة المركزية – انتخبت كسكرتير أول للجنة المركزية لحزب تودة أوائل اندلاع الثورة – أي حوالي كانون الأول ١٩٧٨م.

الأخطاء التي ارتكبناها بعد الثورة تقع في ستة محاور رئيسية وهذا لا يعني بالطبع أنه لم تكن لدينا غير هذه المحاور الستة. بل كانت لدينا أخطاء أخرى. إلا أن هذه المحاور تعتبر بتصوري أساسية ورئيسية أكثر من غيرها، وظهرت بشكل أكثر دقة ووضوح من غيرها.

تمثَّل الخطأ الأول الذي ارتكبناه خلال هذه الفترة – وهو أهم الأخطاء – تمثل في مخالفتنا لمضمون الشعار الرئيسي والمبدئي الذي رفعه الإمام الخميني والذي تستند عليه السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية، وهو شعار لا شرقية ولا غربية وأعتقد أن المفهوم الصائب لهذا الشعار هو كالآتي:

يجب على الأشخاص الساكنين ضمن الحدود الإيرانية والذين يتمتعون بحق ممارسة النشاط السياسي الحر طبقًا للقوانين السارية في إيران أن يتجنبوا إقامة أي نوع من الاتصال أو إقامة أي شكل من العلاقات مع البلدان الأجنبية أو القوى الأجنبية سواء الشرقية منها أو الغربية – أمريكا كانت أو الاتحاد السوفيتي.

لقد أعلنا عن موافقتنا على هذا الشعار ظاهريًا ولكننا لم ننجح في الحقيقة في فك

ارتباط حزبنا عن الحزب الشيوعي السوفيتي الذي يمتد لعدة سنوات مضت.

كذلك فقد فشلنا في توطين أنفسنا على ممارسة النشاط السياسي ضمن إطار القوانين السارية في الجمهورية الإسلامية، وبالقدر الذي يسمح به الدستور العام للبلاد – وكانت النتيجة أن انزلقنا في الطريق الضال، الذي أدى بنا تدريجيًا إلى السقوط الأكبر في أعماق الخيانة والعمالة والتبعية للأجنبي.

وهذا يعني أن نشاطاتنا السياسية قد تحولت في بعض المجالات إلى نشاطات تجسسية بحتة، وخيانة صارخة للجمهورية الإسلامية. وكنا نقوم بإعداد التقارير المختلفة عن الأوضاع السياسية والعسكرية ونوصلها إلى المسؤولين في الاتحاد السوفيتي.

لقد تضمنت تلك التقارير معلومات مهمة عن القوات المسلحة، وكذلك عن الأوضاع السياسية العامة للبلاد، وقد كنت شخصيًا أقوم بإعداد التقارير المتضمنة تحليلات عامة عن الأوضاع السياسية السائدة في البلاد وإرسالها بين فترة وأخرى إلى الاتحاد السوفيتي فضلاً عن إيصال الأخبار العسكرية التي كنا نجمعها عن طريق عناصرنا المتوغلة داخل أوساط الجيش.

وأعتقد أن هذه الأشياء كانت من أكبر الأخطاء التي ارتكبناها في تاريخ الحزب – وهي تمثل عين الخيانة وعلى رأس جميع الأخطاء الأخرى.

أي أننا لو لم نكن قد ارتكبنا هذه الأخطاء – لكان باستطاعتنا تجنب ارتكاب الأخطاء الأخرى – أو على الأقل عدم متابعة ارتكابها. ويتمثل خطؤنا الثاني في مسألة حيازة الأسلحة والاحتفاظ بها ومن الأمور المعروفة أن كثيرًا من الأسلحة العائدة للجيش، قد سقطت بيد العناصر التابعة للأحزاب والتنظيمات المختلفة – وذلك إبَّان أحداث الثورة في شباط (فبراير) ١٩٧٩م – ويضمنها مقادير لا بأس

بها من الأسلحة سقطت بيد بعض الفئات الصغيرة التي كانت تمارس نشاطها تحت مظلة اسم حزب تودة.

وفي الحقيقة أن ثورة شباط (فبراير) فجرتها الجماهير الشعبية المليونية التي كانت تتظاهر تحت راية الإسلام. وتسير تحت لواء الإمام الخميني وهي ترفع الشعارات الإسلامية – التي منها الشعار المبدئي الأصلي – الاستقلال – الحرية – الجمهورية الإسلامية.

وقد نجحت الجماهير في جهودها – وأوصلت بالتالي عجلة الثورة إلى شاطئ الانتصار، ولم يكن للفئات اليسارية الصغيرة ومن ضمنها حزب تودة أي دور يذكر في ذلك – وفيما لو كان – فإنه لم يتعد الدور الفرعي الضئيل وغير المؤثر حيث إنه لو لم تكن الفئات موجودة على ساحة الأحداث، لسارت الثورة أيضًا في طريقها ولانتصرت كما نراها اليوم.

ولكننا بعد ذلك – وبدلاً من أن ندرك الحقائق العلمية ونهضمها جيدًا – ونفهم عمق ما جرى في بلدنا كاملاً – فشلنا في فهم الحقيقة ومواكبة الأحداث ومسايرة الظروف الجديدة التي طرأت على مسرح الحياة في بلادنا، وبقينا نراوح في مكاننا البدائي – الذي أوضحته سابقًا، والذي تمثل بالعمالة والذيلية للأجنبي.

وكانت قضية الأسلحة – ضمن هذا الإطار – حيث إنه عندما أصدر الإمام – في مطلع انتصار الثورة، أوامره للجميع بتسليم أسلحتهم إلى الجهات المسؤولة وإلى لجان الثورة الإسلامية فإننا وبدلاً من تنفيذ تلك الأوامر – فقد احتفظنا بكميات لا بأس بها من تلك الأسلحة وأخفينا القسم الآخر. رغم إصدارنا للتعليمات الظاهرية والصورية بالإسراع في تسليم الأسلحة إلى المسؤولين وبهذا نكون قد ارتكبنا خطأً كبيرًا وخيانة عظمى.

إنني أعتقد أنه لو كانت مسألة الاحتفاظ بتلك الأسلحة من قبلنا تعتبر خطأ كبيرًا وصارخًا في الفترة التي سبقت الاعتداء العراقي ضد أراضينا – فإن ذلك العمل يعتبر بالتأكيد خيانة عظمى في الفترة التي أعقبت ذلك الاعتداء؛ وذلك لأن تلك الأسلحة كانت تكتسب أهمية كبيرة بالنسبة للقوات المدافعة في الجبهات، وكان المدافعون بأمس الحاجة إليها. ومن هنا فإني أعتبر نفسي مسؤولاً مسؤولية كبرى عن ذلك العمل.

ويشتمل خطؤنا الثالث – في مسألة عدم التزامنا بالمواد العشرة للبيان الذي أصدره المدعي العام للجمهورية الإسلامية – حيث يعتبر ذلك البيان برأيي بمثابة رحمة كبيرة أفاض بها الإمام على الفئات والمجموعات السياسية العاملة في إيران حيث تضمن ذلك البيان تعليمات تم بموجبها إصدار العفو عن جميع الأعمال التي قامت بها المجموعات السياسية في إيران في الفترة التي سبقت صدور البيان – ودعا البيان كذلك جميع التنظيمات لأن ترضخ للحقيقة وتعلن عن حل تنظيماتها السرية. وتسليم أسلحتها إلى الجهات المسئولة والتفرغ للنشاطات السياسية البحتة حسب الأفكار والمعتقدات والآراء التي تؤمن بها كل فئة أو تنظيم.

أنني أعتبر ذلك البيان يكتسب أهمية وقيمة فائقة للغاية – ولكن للأسف أننا لم ندرك ذلك جيدًا بسبب المآرب والأحلام والأهداف التي كانت تراودنا.

وبدلاً من حل تنظيماتنا السرية التي كانت بدائية جدًا. فقد لجأنا إلى دعمها وتقويتها بشكل واضح – وأدخلنا عناصر جديدة إليها – وحولناها إلى تنظيم سري كبير – اضطلع بمهمة تجميع المعلومات السرية والخطيرة التي كانت تجرنا إلى التجسس والخيانة لصالح الأجنبي. وبذلك نكون قد ارتكبنا خطأ كبيرًا نستحق على أثره العقوبات الصارمة.

ويتمثل المحور الرابع – خطؤنا في مسألة تشكيل الخلايا السرية في أوساط الضباط العسكريين.

حيث أرى أن الإمام كان محقًا جدًا عندما أعلن عن وجوب ابتعاد القوات المسلحة عن التنظيمات والأحزاب السياسية وضرورة الحفاظ عليها بعيدًا عن القلاقل السياسية.

وكذلك أراه محقًا تمامًا عندما أعلن أن القوات المسلحة يجب أن تصب جهودها في مجال ترسيخ سيادة الجمهورية الإسلامية والابتعاد عن العمل الحزبي داخل صفوف تلك القوات واضعًا الحد أمام أهواء كل فئة تريد تطبيق آرائها السياسية في أوساط القوات المسلحة.

لقد كانت تلك الآراء صائبة للغاية – ولكننا وللأسف الشديد ولنفس الدوافع السابقة تجاوزنا تلك الدوافع ولم نأخذها بعين الاعتبار.

فقد كان وضعنا التنظيمي داخل القوات المسلحة بهذا الشكل: حيث لم نكن نملك حينذاك سوى أعداد قليلة جدًا من الضباط المتعاطفين مع أفكار الحزب – الذين يتصلون بنا عن طريق أصدقائهم الحزبيين، ولم يكن لدينا أي عمل منظم داخل أوساط الضباط إلى تلك الفترة ولكن بعد ذلك التاريخ قمنا بتجميع الضباط المتعاطفين في خلايا تنظيمية عديدة – وربطنا تلك الخلايا بشبكات سرية ووضعنا الحدود– وشخصنا الخطوط التي يجب السير عليها والالتزام بها داخل التنظيمات. مبينًا كيفية إجراء الاتصال فيما بين الأفراد دون أية مشاكل.

وبذلك فقد سارت الأمور بشكل منظم – وأصبحت تلك العناصر مصادر قيمة لتزويدنا بالأخبار السرية والمعلومات الخطيرة عما يجري داخل القوات المسلحة – وتجميع تلك المعلومات والأخبار وترتيبها؛ ومن ثمَّ إيصالها إلى المسؤولين السوفيت.

وباعتقادي فإن ذلك يعتبر وحده – أيضًا – نوعًا من الخيانة بحق الجمهورية الإسلامية.

ويتمثل المحور الخامس لأخطائنا في مسألة كيفية تعاملنا مع قانون تطهير الدوائر الحكومية من العناصر المعادية للثورة والمصدق عليه من قبل مجلس الشورى الإسلامي؛ حيث يعتبر سن هذا القانون حقًا مشروعًا لأي حكومة لا ترغب في وجود العناصر المعارضة لسياستها على رأس مؤسساتها العسكرية أو المدنية المختلفة والتي تتقلد المناصب الحساسة.

ومن الجدير بالذكر أنه لم تتم الإشارة الصريحة لحزب تودة في مواد القانون ولكن أشير إليه ضمنيًا – حيث نصت إحدى المواد على ما يلي «يجب تصفية وتطهير المؤسسات الحكومية، سواء منها الثقافية أو الجامعات أو بعض المناصب الحساسة وبالأخص في المؤسسات العسكرية من العناصر المرتبطة بالأحزاب العميلة للدول الأجنبية وإخراجهم من تلك المؤسسات.. وحزب تودة يُعْنَى في هذه المادة، إنني أرى أن مَنْ وضع هذا القانون كان محقًا جدًا – ولا يجوز الاحتجاج عليه إطلاقًا أو إثارة الشبهات حوله؛ فإنه حق مشروع للجمهورية الإسلامية في إيران أن تضع مثل هذا القانون. ولكننا وبدلاً من الرضوخ لهذا القانون، وفك ارتباط العناصر المعنية بالقانون وإخراجهم من الحزب أو نصحهم بكشف ارتباطاتهم للسلطات أو ترك المناصب التي يشغلونها مع ارتباطهم التنظيمي – بدلاً من كل ذلك تعاملنا مع القضية بكامل الجبن والخسة والرياء – وسعينا حثيثًا من أجل تشجيع العناصر المعنية على اتباع أساليب الكذب والخداع والرياء أمام المسؤولين – والتظاهر بالتدين أمامهم – وإنكار الانتماء للحزب – بل والعمل على التدرج في المناصب واستلام مناصب أرفع من السابق، وأكثر من ذلك فقد لجأنا أحيانًا إلى اتباع أساليب ملتوية واستغلال بعض العلاقات الخاصة مع المسؤولين

لدفع عناصرنا إلى مناصب أرفع وتشجيعهم على الاتصال بالحزب.

وهذا هو مصداق عملي للأعمال التسللية غير المشروعة التي شُجبت من قبل الجمهورية الإسلامية.

ويتمثل المحور السادس لأخطائنا – والذي يعتبر من الأخطاء القاتلة التي وضعت اللمسات الأخيرة لنهايتنا في المخطط الذي بدأنا في تنفيذه في الفترة التي سبقت فاتضاح أمرنا.. حيث كنا نبحث عن طرق لا قانونية تساعدنا على الخروج من القطر عبر الحدود.

وكان الهدف من ذلك بالدرجة الأولى هو إخراج الكوادر القيادية للحزب من القطر؛ وذلك لأننا كنا نشعر بقرب نزول الصفعة المنتظرة على رأس الحزب، وقد حاولت مرة الخروج من القطر بهدف الاستشارة والتباحث في الأمور والتطورات المستجدة مع الآخرين وهذا يعتبر من الذنوب الكبيرة التي اقترفناها خلال مسيرتنا الحزبية. إن هذه جميعًا تمثل المحاور الأساسية لأخطائنا وخياناتنا لهذا البلد.

إجراء المشاورات مع الحزب الشيوعي السوفيتي

تقدمت بطلب إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي تضمَّن رغبتي في إجراء مشاورات معهم لتبادل وجهات النظر حول الأوضاع المعقدة والسيئة التي تسود المنطقة والتي تسير يومًا بعد يوم نحو الأسوأ.. والتي سببت لي حالة من الاضطراب والقلق والحيرة استدعت إجراء بعض المشاورات والمباحثات معهم للتداول في الأمر قبل فوات الأوان.

أمَّا بالنسبة لتاريخ علاقتي مع باقي أعضاء الحزب – ودرجة ارتباطي مع السفارة السوفيتية بطهران – فإنه يعود بالضبط إلى عام ١٩٤٥م حيث تعرفت في هذا التاريخ على أحد أعضاء السفارة السوفيتية عن طريق أحد الاشخاص المدعو

«عبد الصمد كامنجسن» ولم تدم تلك العلاقة طويلاً بسبب تطورات أحداث مقاطعة أذربيجان وما أعقب ذلك من أحداث.

ثم حدثت أحداث عام ١٩٤٨م التي اعتقلت على أثرها ولم تتهيأ لي أي فرصة للاتصال مع السفارة بعد الإفراج عنّي واستمر ذلك حتى تاريخ هجرتي من إيران – حيث مكثت لفترة وجيزة بلغت حوالي عامًا ونصف في الاتحاد السوفيتي – ورحلت بعدها إلى جمهورية ألمانيا الديمقراطية.. حيث كنت في تلك الفترة على اتصال مستمر مع الحزب الشيوعي السوفيتي، وكانت تلك الاتصالات ضعيفة وغير مؤثرة، في الفترة التي كنت فيها خارج اللجنة المركزية لحزب تودة، وبعيدًا عن ممارسة المسؤوليات القيادية بشكل مباشر.

ولكن الأوضاع عادت كالسابق بعد عودتي للجنة المركزية بعد عام ١٩٧٢م؛ حيث أصبحت بعد هذا التاريخ أمارس نشاطي المكثف، وكنت على اتصال مستمر مع السفارة السوفيتية في طهران، أمَّا فيما يخص درجة ارتباط باقي أعضاء الكادر القيادي واللجنة المركزية بالمسؤولين السوفيت، فإنها لم تكن متساوية مع جميع الأفراد ولكن قد تكون هناك ارتباطات أخرى لبقية الأعضاء لم نكن نعلم بها بشكل كامل.

وفيما يخص وجهة نظري حول التخلفات والخيانات التي أحمل وزرها شخصيًا. فإني أعتبر أنها كبيرة وثقيلة جدًا على كاهلي وهي تدخل في إطار التجسس والخيانة ونقض القانون. وهي ثقيلة بحيث إنها تستحق أشد العقوبات باعتباري المسؤول الأول عن تلك الأعمال الخيانية.

نداء إلى الشباب الحزبي

أوجه ندائي إلى الطبقة الشابة من الخريجين وإلى كل أولئك المخدوعين والمتعاطفين مع المعتقدات السياسية والفكرية للفئات اليسارية وأحذرهم من مغبة

الوقوع في شباك العمالة والارتباط بالدول الأجنبية وأدعوهم إلى تجنب ذلك قدر الإمكان في مسيرتهم النضالية.

لقد كانت العمالة والارتباط بالأجنبي – السبب الرئيسي الذي جرنا تدريجيًا نحو الانحراف والسقوط في المزالق الخيانية التي أدت بنا بالتالي إلى المصير المشؤوم الذي نحن فيه اليوم، لقد أصبحنا اليوم مطالبين بحق للإجابة على كل تلك التصرفات والأعمال الخيانية التي اقترفناها خلال سيرتنا أمام الشعب الإيراني الذي كنا نتصور أننا نخدمه عن طريق الحزب، ولكن النتيجة كانت عكس ذلك تمامًا. فإياكم والانزلاق في الطريق الضال الذي أدى بنا إلى هذا المصير.

◆ ◆ ◆

اعترافات «به آذين»
المسؤول المباشر عن الصحيفة الرسمية لحزب تودة

إني «محمود اعتماد زاده» المعروف بـ «به آذين» رئيس الجمعية الإيرانية لأنصار السلام، والأمين العام لمجلس الكُتَّاب والفنانين الإيرانيين والمسئول المباشر عن صحيفة «اتحاد مردم» الأسبوعية انتميت إلى حزب تودة «الحزب الشيوعي الإيراني» عام ١٩٤٤، وانقطعت علاقتي بالحزب بعد الانقلاب العسكري – الذي نُفِذَّ في ١٩ آب ١٩٥٣.

استمرت هذه القطيعة لمدة ثلاثة وعشرين عامًا – حتى انتصار الثورة الإسلامية في إيران – حيث اتصلت بالحزب وأعدت ارتباطي به بعد الثورة أي عام ١٩٨٠، وقد دُعِيْت في الأيام الأخيرة التي سبقت إلقاء القبض علي للانضمام للجنة المركزية لحزب تودة.

سوف أخصص حديثي عن الأعمال التي قامت بها الفئات والتكتلات اليسارية منذ بدايتها وحتى انتصار الثورة الإسلامية في إيران – وأترك الحديث فيما يخص الفترة التي أعقبت الانتصار لباقي قادة الحزب للتحدث عنها بإسهاب.

الماركسية في إيران والطريق المسدود

إن ما ينبغي التأكيد عليه في بداية حديثي هو الطريق المسدود الذي وصلت إليه الماركسية في إيران، بعد انتصار الثورة الإسلامية واستتباب السيادة المطلقة للإسلام في هذا البلد. وهي اليوم لا تملك حتى موطئ قدم في الحياة السياسية في إيران ولن يمكنها أن تنال ذلك بتاتًا.

النقطة المهمة هنا تكمن في وصول الماركسية في إيران إلى طريق مسدود – كيف حدث ذلك؟

يعود ذلك – حسب اعتقادي – بالدرجة الأولى – إلى وجود الإسلام – الإسلام الثوري – الذي أدى بالماركسية إلى الإفلاس أمام نظرية منسجمة – متبناة من قبل الجماهير المليونية في إيران. لقد امتاز الإسلام الثوري هذا – بسعة نفوذه وترسيخ أفكاره في أذهان الجماهير المليونية في إيران، وبالأخص الطبقات المستضعفة منها.

ولعل أهم أحد العوامل في ذلك هو امتلاك الشعب الإيراني للثقافة الدينية العريقة والمترسخة.

وأؤكد مرة أخرى أن مستضفعي إيران – سواء من كان منهم في المدن أو القرى – تربطهم بعلماء الدين المسلمين روابط ووشائج وثيقة جدًا. وأن هذا الارتباط الثقافي والفكري الوثيق والعريق، والمتأصل في نفوس الجماهير المستضعفة – والذي يمتد لقرون متطاولة تزيد على الألف عام – يكسب في الحقيقة الجماهير الإيرانية نوعًا من الوقاية والصيانة اللازمة – التي تجنبهم أي نوع من التمايل أو التبني لأية فكرة وعقيدة غير إسلامية.

والنقطة الأخرى المهمة هنا أن انتصار الثورة الإسلامية ومن ثمَّ استتاب حاكمية الإسلام التامة في إيران – قد تم بمشاركة الجماهير الشعبية المليونية، وبالأخص المستضعفين منهم وتحت قيادة الإمام الخميني. وكذلك بفضل توجيهات وإرشادات علماء الدين الملتزمين الذين استطاعوا عبر السنوات الطوال وبالأخص السنوات الأخيرة التي سبقت الثورة أن يدمنوا حركة الجماهير الثورية والمعارضة بشكل عام باتجاه إسلامي أصيل.

إن الحاكمية الإسلامية الثورية، التي سادت البلاد بعد انتصار الثورة، قد هيأت

جميع الوسائل والعوامل – المادية والمعنوية اللازمة لحل الشؤون المختصة بالمستضعفين في إيران، وإنقاذهم من الحرمان والظلم والاستغلال.

كما أنها أثبتت خلال الأعوام المنصرمة الأربعة من عمر الثورة أنها مصممة على إيجاد الحلول الصائبة والنهائية لهذه المشاكل حيث إننا كلما تتبعنا هذه الأعوام الأربعة رأينا أن الجهود والمساعي لتنفيذ حاكمية الإسلام الثوري في هذا المجال قد توسعت وزادت. وأصبحت أكثر ثمارًا وإنتاجًا من ذي قبل. وبناء على ذلك – فالماركسية لم يعد لديها شيء – تقدمه للجماهير الإيرانية المستضعفة في هذا المجال – ناهيك عن أنها تمتلك فقط إمكانية رفع الشعارات دون العمل بها – وإن ما يمكن تحقيقه من إنجاز مهم لأجل المستضعفين، قد تحقق الكثير منه حتى الآن بفضل الثورة الإسلامية في إيران.

هناك نقطة أخرى أود الإشارة إليها – فيما يخص شعار «لا شرقية ولا غربية» الإسلامية حيث إن هدف هذا الشعار يكمن من جهة في تأمين استقلال البلاد – ومن جهة أخرى يهدف إلى تحقيق مصداق الرفض العملي لكل الطرق والأساليب المستوردة وكذلك رفض مظاهر الحضارة المزيفة – وأسس نظام الحكم وتركيبة المجتمع – على الطراز الشرقي والغربي على حد سواء.

من هنا فإن المعتقدات والأفكار المتأصلة في أذهان ووجدان الجماهير المستضعفة في إيران – والتي تعتبر بحق المدافع الأصيل عن الثورة الإسلامية – حيث لا زالت تقدم أبناءها على طريق تحقيق أهداف الثورة وإيصالها إلى النصر النهائي – تقف دومًا سدًا منيعًا وحائلاً دون تغلغل الأفكار الماركسية في نفوس أولئك المستضعفين.

وهناك مسألة مهمة أخرى في هذا المجال وهي أن الماركسية لا تهتم أساسًا

بالجوانب الروحية والمعنوية المتعالية للإنسان بل إنها لا تهتم أساسًا بالجانب الإلهي في الإنسان – وعليه لا أرى وجود أي موطئ للماركسية من هذه الناحية بين أوساط الجماهير الشعبية في إيران.

عمالة حزب تودة للاستكبار الشرقي

لو تجاوزنا كل ذلك – فإن مسألة عمالة وارتباط التيارات اليسارية – وحزب تودة بالخصوص للاستكبار الشرقي، والتي أدت بهم إلى تنفيذ الأعمال الخيانية واللا قانونية وحياكة المؤامرات داخل البلاد، قضت تمامًا على أي احتمال لتقبل الأفكار الماركسية وتبنيها من قبل الجماهير الشعبية – التي تدرك جيدًا تلك الأمور.

كما أن الخيانات التي ارتكبتها الفئات والأحزاب ذات التوجهات اليسارية في إيران – منذ نشأتها وحتى الآن – فضلاً عن الجرائم والمؤامرات التي نفذتها تلك الفئات، والتي انطبعت جميعها في أذهان جماهير الشعب – بعد أن عاشتها عن كثب – قد تركت حالة من الكراهية والنفور والانزعاج من اليسار والشيوعية بشكل عام في قلوب جماهير الشعب وأفراده المحبين لوطنهم بشكل عام.

وسوف أشير بشكل إجمالي – إلى عدد من النماذج الناطقة فيما يخص تلك الخيانات ومنذ بداية «عهد المشروطة» وحتى الآن – وهي تعطي الدليل القاطع على مدى خيانة التيارات اليسارية وحزب تودة لمصالح الجماهير الشعبية في إيران.

القضية الأولى التي أود الإشارة إليها: هي قضية المجاهدين القادمين من تبريز من السلاح والذين كانوا تحت قيادة (ستارخان، وباقرخان) وكانوا يقيمون في منتزة أتابك في طهران حيث اتخذ الجهاز الحاكم في ذلك الوقت، قرارًا بتجريد هؤلاء المجاهدين من السلاح – للحيلولة دون إعطاء أي فرصة للقوى الشعبية للتأثير على سياسة إيران وتجميدها، وقد نفذت تلك العملية بأيدي بعض الشخصيات

اليسارية من أمثال (حيدر عمو أوغلي بيرم) وآخرين.

والقضية الأخرى هي قضية إحباط حركة الغابة – المعادية للاستعمار التي ظهرت في شمال إيران – والقضاء عليها من قبل الحكومة المركزية.

حيث كان قد تم في حينها تشكيل ائتلاف كبير ضم الكثير من الفئات المعادية للحكومة المركزية، وذلك بعد دخول قطاعات الجيش الأحمر إلى ميناء إنزلي وعودة الإيرانيين الذين كانوا يسكنون مقاطعة القفقاس وعلى الخصوص المناطق القريبة من (آبار بادكوبه) النفطية.

وكان الهدف من تشكيل ذلك الائتلاف هو دعم ثورة الغابة والعمل على اتساعها وانتشارها في اتجاه إيران حيث تم بالفعل تشكيل حكومة مؤقتة هناك.

ولكن الفئات اليسارية – التي كانت قد تغلغلت في تلك الحكومة سعت لأجل السيطرة على جميع الأمور وإضواء الثورة من الداخل؛ وكان نتيجة ذلك أن تم تنفيذ انقلاب عسكري وإجبار «الميرزا كوجك فان» على اللجوء إلى الغابات المنتشرة في تلك المنطقة حيث أدى هذا الأمر بحد ذاته إلى تصدع أركان جبهة القوى الثورية في منطقة كيلان؛ وبالتالي أفلح رضا خان وحكومته المركزية الرجعية المرتبطة ببريطانيا في القضاء على تلك الحركة الثورية الرائعة وإخماد نيرانها.

والقضية الأخرى: معارضة السيد المدرس لخطة رضا خان المرائية في الإعلان عن تأسيس الجمهورية في إيران بتنصيب نفسه رئيسًا لها. فإننا نرى أيضًا أن العناصر التي كانت تحسب على الفئات اليسارية في إيران من أمثال (سليمان ميرزا إسكندري) الذي كان يتزعم التنظيمات الاشتراكية الديمقراطية في إيران كانت قد أعلنت عن دعمها وحمايتها لإجراءات رضا خان. كما أن إسكندري نفسه – كان قد قبل منصب وزير المعارف في حكومة رضا خان – وكان يشير في أحاديثه دومًا إلى

رضا خان باعتباره ممثلاً للبرجوازية الوطنية في إيران في ذلك الوقت – وهذا الرأي كان يتطابق تمامًا مع رأى الاتحاد السوفيتي برضا خان؛ وبذلك فقد أفلح رضا خان في السيطرة على مقاليد الأمور وتثبيت موقعه في السلطة الملكية وتنصيب نفسه ملكًا يتربع على العرش الإيراني.

كذلك يمكن الإشارة هنا إلى الأحداث التي جرت في إيران خلال أعوام (١٩٤١م – ١٩٥١م) وما اتخذه حزب تودة من مواقف تجاه التطورات التي جرت في هذه الأعوام العشرة التي كانت تتعلق عمليًا باستقلال ووحدة الأراضي الإيرانية.

وكمثال نذكر خيانة حزب تودة للسياسة الوطنية في حادثة تشكيل الحكومة الديمقراطية في أذربيجان – والحكومة الديمقراطية في كردستان أو فيما يخص قضية منح السوفيت امتياز نفط الشمال وما شابه ذلك من أحداث ليست بخافية على الجميع؛ وهي تدل على الخيانة التي اقترفها حزب تودة– وكذلك تثبت مدى عمالته وارتباطه التام بالسياسة السوفيتية في المنطقة.

تأميم صناعة النفط

ثم نصل إلى المواقف التي اتخذها حزب تودة – فيما يخص قضية تأميم الصناعة النفطية – التي أعلنت عنها الحكومة الوطنية برئاسة الدكتور مصدق – حيث عمد الحزب إلى وضع الحواجز والعراقيل أمام حكومة مصدق عن طريق المظاهرات المتتالية والاضطرابات العديدة التي دعا إليها الحزب، فضلاً عن إشاعة الدعايات المغرضة والباطلة حول السياسة الوطنية التي كان ينتجها الدكتور مصدق، وقد ساعدت هذه الأعمال كثيرًا في تهيئة الأجواء المناسبة لتنفيذ المؤامرات الإمبريالية الأمريكية والبريطانية من قبل أذنابهم الرجعيين والانتهازيين داخل البلاد. حيث تبلورت تلك المواقف كليًا في الانقلاب العسكري المشئوم الذي نُفِذَّ في ١٩ آب (أغسطس ١٩٥٣م)

وما أعقب ذلك من مآسٍ وويلات صبت على رؤوس أبناء الشعب الإيراني.

ولم يكتف الحزب بذلك – بل اتخذ تلك المواقف المهادنة والخيانة المعروفة أمّا الحكومة العسكرية الجائرة – وما سُمِّي بالحركة الإصلاحية للشاه التي لم تكن في الحقيقة سوى لعبة خبيثة تهدف إلى تحقيق مآرب الشاه ونوازعه الخيانية – ولم يكن للشعب منها أي نصيب أو مشاركة تذكر – بل اتبع فيها أساليب الجبر والإكراه، وكان رأي الحزب فيها – أنها كانت تحتوي على جوانب إيجابية لا بأس بها.

كما أن الحزب كان قد أعلن تأييده ودعمه لحكومة (المشروطة) الملكية التي تمنح الشاه حق ممارسة الصلاحيات الحكومية فيها، وكان ذلك متطابقًا مع الشعارات التي رفعتها الجبهة الوطنية والبرجوازية بشكل عام في أنحاء العالم.

إن كل تلك المواقف العملية – تعتبر مصاديق صارخة تثبت خيانة ومهادنة اليسار، وحزب تودة بالخصوص.

كما أنها تثبت الدسائس والأحلاف التي كانت تخطط وتحاك خلف الكواليس – وبعيدًا عن أنظار الجماهير، وأدت تلك الأعمال بدورها إلى إسقاط اليسار وحزب تودة من أنظار الجماهير المليونية في إيران – تلك الجماهير التي تشخص الحقيقة من ظواهرها دون أية رتوش؛ وبالتالي إصدار الحكم من قبل الشعب بإماتة هذا الحزب وطرده من الأوساط الشعبية وتركه وحيدًا في الساحة، باستثناء أعداد ضئيلة من الذين خدعوا بأفكار الحزب أو نتيجة لجهلهم بالشؤون السياسية وانضموا إلى صفوفه وساروا على نهجه الخاطئ.

والمسألة الأخرى التي تجرد اليسار والماركسية في إيران من أية قاعدة أو موطئ في أوساط المجتمع والمعروفة لدى الجميع هي مسألة ذيلية الحزب وتبعيته المطلقة للسياسات السوفيتية في المنطقة والتي حولت الحزب إلى أداة طيعة في أيديهم

يستخدمونها لتنفيذ سياستهم ومخططاتهم الجهنمية في إيران.

إن كل ما أشرنا إليه قد طرح الماركسية بصورة سلبية أمام أنظار الجماهير.

وبالتالي يمكننا القول الآن بكل صراحة وثقة، إن الماركسية قد انتهى أمرها في إيران – بعد أن تحققت السيادة التامة للحكومة الإسلامية الثورية على كل التراب الإيراني.

صحيفة أعمال حزب تودة في إيران

أمَّا فيما يخص ما ارتكبه حزب تودة من أعمال خيانة – خلال الأعوام الأربعين التي انحرمت من وجوده في إيران، فإنه عمل في الفترة التي أعقبت انتصار الثورة الإسلامية على تبرير الأعمال الخيانية السابقة وتزكية فهمه أمام أبناء الشعب عن طريق فتح مقرات في أنحاء إيران والاستفادة من الوسائل الإعلامية المختلفة والكتب والنشرات وغيرها.

لقد بذل الحزب جهودًا حيثية في هذا المجال وقام بإصدار نشرات كثيرة بهذا الخصوص ووزعها بين صفوف الشعب ولكن لابد من القول وبكل صراحة إن من تلك التبريرات واختلاق المعاذير، لم تلقَ القبول والرضا عند ضمائر وأفكار جماهير الشعب المليونية، من المستضعفين والكادحين والعمال في إيران، وبقيت نظرة الناس إلى الحزب، كما كانت في السابق باعتباره جزءًا مشبوهًا ومُدانًا ومطرودًا من بين أوساط الشعب.

رأيي بحزب تودة

أمَّا بالنسبة لوجهة نظري بخصوص حزب تودة فإنها تنبع من الوقائع التي أفرزتها الأعمال الخيانية التي اقترفها الحزب خلال عمره الطويل في إيران، والتي

شملت النقض المتعدد لقانون الجمهورية الإسلامية واتباع سياسة نفاقية ومرائية أمام نظام الجمهورية الإسلامية في إيران، وكذلك التجسس لصالح الاتحاد السوفيتي وللمعسكر الشرقي بشكل عام؛ وبالتالي تدبيره لمؤامرة الإطاحة بنظام الجمهورية الإسلامية.

مع ملاحظة تلك الأمور وأخذها بنظر الاعتبار فإنه لا يبقى أي مجال لحسن الظن بالحزب ولا يمكننا بالتالي أن نعتبر حزب تودة ككيان سياسي قانوني في إيران.

إن هذا الحزب – مع الأخذ بنظر الاعتبار الأعمال الخيانية التي اقترفها – مثله الآن كمثل جثة متعفنة لا بد من دفنها بسرعة لئلا تسري عفونتها إلى أذهان البسطاء من شباب هذا الشعب، ولا أرى أي لزوم للتفصيل في هذا المجال – تاركًا الفرصة للآخرين للتحدث بشكل مفصل حول هذا الجانب من القضية – أي أعطي المجال لكياتوري مثلاً أو باقي قادة الحزب – لكشف الستار عن تفاصيل الأعمال الخيانية والفتنة التي اقترفها الحزب.

ولكنني وبسبب ارتباطي المجدد مع تشكيلات الحزب بعد انتصار الثورة وبعد قطيعة تامة معه دامت ثلاثة وعشرون عامًا. أعترف باقترافي خطأ فاحشًا وذنبًا كبيرًا بحق نفسي أولاً، وبحق الجماهير المستضعفة الإيرانية ثانيا التي حققت بدمائها وتضحيات أبنائها انتصار الثورة الإسلامية في إيران وحافظت على مكاسبها، وهي لا زالت تضحي وتقدم القرابين تلو القرابين في هذا الطريق لأجل دفع عجلة الثورة إلى الأمام والوصول إلى النصر النهائي والتام في المستقبل.

وإنني أعتبر نفسي مسؤولاً عن أعمالي أمام هذا الشعب وأمام الإمام الخميني قائد الثورة ومؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران كذلك.

وكذلك أعتبر نفسي في الحقيقة شريكًا بشكل ما- بالخيانة التي ارتكبها حزب

تودة في إيران ودون اعتذار أو سماح أو تردد أعتبر نفسي مستحقًا للعقوبة القانونية.

اعترافات «عموئي» عضو اللجنة المركزية لحزب تودة

إني «محمد علي عموئي» عضو اللجنة المركزية لحزب تودة طالب في الصف الخامس الإعدادي. بعد حصولي على شهادة الإعدادية وقبولي في كلية الضباط انقطعت علاقتي مع الحزب.

ثم أعدت انتمائي للحزب بعد تخرجي من كلية الضباط – حيث أصبحت عام ١٩٤٩ عضوا في التنظيم العسكري للحزب.

ارتفعت بعد خمسة أعوام من النشاط الدءوب في التنظيم العسكري لحزب تودة (أعوام ١٩٤٩م – ١٩٥٤م) إلى درجة مسؤول منطقة في التنظيم الحزبي.

ألقي القبض على سائر أعضاء التنظيم العسكري للحزب عام ١٩٥٤ – وبقيت رهن الاعتقال لفترة طويلة دامت أكثر من ٢٤ عامًا وعدة أشهر أي حتى أواخر عام ١٩٧٨م؛ حيث أفرج عني بفضل أمواج الثورة الهادرة التي حطمت قيود جميع المعتقلين السياسيين، وكنت بدوري من الذين تمتعوا بأدنى ثمار جهود أبناء الشعب الثائر.

عاودت مزاولة نشاطي الحزبي عند عودة النشاط العلني للحزب بعد انتصار الثورة، وقد كنت قبلها قد انتخبت غيابيًا عضوًا في اللجنة المركزية للحزب. ثم أصبحت عضوًا في الهيئة السياسية للحزب وأخيرًا انتخبت عضوًا لأمانة السر في المؤتمر الأخير للجنة المركزية للحزب وبقيت أحتل هذا المنصب حتى تاريخ اعتقالي منذ بداية النشاط الحزبي بعد انتصار الثورة – أعلن دعمه وتأييده للدستور العام للجمهورية الإسلامية في إيران – وكان يشيع بين الناس بأنه قرر تحديد نشاطاته ضمن الأطر التي وضعها الادعاء العام للثورة في البيان ذي العشر المواد الآنف

الذكر – وكان يستغل كل فرصة أو مناسبة لإصدار بيان يؤكد النشاط القانوني للحزب.

كما أن الحزب كان يشارك دومًا في الانتخابات التي أقيمت في البلاد – بل وشجع الآخرين على المشاركة والإدلاء بآرائهم في صناديق الاقتراع، وكان يستنكر ويدين الفئات والمجموعات التي كانت تعمل من أجل وضع العراقيل أمام عجلة الثورة المتقدمة، ويعلن عن أسفه واحتجاجه على الأزمات والمشاكل التي تثيرها العناصر المقاومة للثورة الهادفة إلى الوقوف أمام المد الثوري.

وكان الحزب من جهة أخرى، يصنع المشاريع والخطط الإصلاحية ويعرضها على المسؤولين ليثبت عن هذا الطريق نزاهته ودعمه وتأييده الكامل لمشاريع وخطط الحكومة بالشعار والكلام والإعلام على الأقل.

ولكن كل ذلك لم يكن يتعدى الكلام والشعارات والإعلام المزيف وجميعه يصب في مجرى السياسة التي رسمها الحزب للسير عليها. ومتى كان الكلام مهما بلغ يفي بالغرض عن العمل؟ إذن لنرَ ماذا كان العمل؟

لقد تميزت ممارسات الحزب في تلك الفترة بأنها كانت تجسيدًا عمليًا للكذب والخداع والرياء ومشبعة بسلسلة طويلة من الخيانة ومعارضة القانون.

فنرى أن الحزب ينظم قائمة تضم أسماء أربعة وعشرين فقط من قادة الحرب، بدلاً من إدراج أسماء جميع القادة ويسلمها إلى وزارة الداخلية.

وفي الوقت الذي كان الحزب فيه يدعي الشرعية والقانونية، ويسعى للحصول على ترخيص قانوني لنشاطه، كان يعمل من جهة أخرى على تشكيل الخلايا والشبكات السرية.

كذلك في الوقت الذي كان الحزب فيه يدعي أنه يراعي تمامًا المقررات

والضوابط القانونية الموضوعة، كان يسعى حثيثًا من جهة أخرى لأجل التسلل إلى المؤسسات والدوائر الحكومية، واتباع الأساليب اللاقانونية لترسيخ أقدامه هناك.

وفي الوقت الذي كان الحزب فيه قد أصدر تعميمًا حزبيًا داخليًا إلى جميع أعضائه، يدعوهم فيه إلى التجرد من كل نوع من السلاح، كان من جهة أخرى يزيف الحقائق ويمنعهم من تسليم السلاح إلى المسؤولين.

وكان يؤكد صوريًا على الاستقلال والتضامن، بينما كان يطلق عليهم «بالأحزاب الشقيقة» إلا أنه كان ينفذ الأوامر التي تصله من الاتحاد السوفيتي بشكل مباشر أو عن طريق الاتصالات السرية مع بعض الجهات.

ولم يكتفوا بذلك بل إن درجة العمالة والارتباط بالأجانب وصلت إلى حد بحيث شكل التجسس أحد الواجبات الرئيسية التي كان يكلف الأعضاء بتنفيذها.

وحقيقة الأمر أن درجة عمالة وارتباط الحزب بالاتحاد السوفيتي كانت منذ البداية إلى حد بحيث إنها تحولت إلى ظاهرة عامة ومتلاصقة لكيان الحزب.

ولو ألقيت نظرة عامة إلى بداية نشاطات الحزب – لظهر أن شعُب الحزب ومكاتبه التي افتتحت في تلك الأيام، كانت بشكل أساسي في المدن القريبة من الاتحاد السوفيتي، وبشكل عام في محافظات كيلان ومازندان وأذربيجان – ولم يتيسر ذلك للحزب لولا وجود قطاعات الجيش الأحمر هناك؛ وهذا يعني أن حزب تودة كان قد تأسس وظهر تحت مظلة التواجد الأجنبي في تلك المناطق.

وبديهي فإن نفس ظاهرة العمالة والارتباط بالأجانب توجب سلب الشخصية المستقلة، وتضعف سمات الاعتماد على النفس لأي حزب أو فئة تريد العمل في أوساط المجتمع.

وقد جرب شعبنا جيدًا – نموذجًا بارزًا دلَّ على نتائج هذه العمالة للأجنبي في

التاريخ القريب جدًا حيث كان النظام المقبور مسلحًا من رأسه حتى أخمص قدميه بمختلف أنواع الأسلحة المتطورة، وكانت الأسلحة تنهال عليه من الإمبريالية العالمية وبالأخص أمريكا – وقد جعلته هذه الحالة يلجأ إلى استخدام أساليب القمع والبطش والرهبة ضد أبناء الشعب – وكذلك تحول فيما بعد لأداء دور شرطي المنطقة وحارسًا أمينًا للمصالح الأمريكية ومشرفًا بارعًا على عمليات السطو والقرصنة التي كانت تنفذها أمريكا في المنطقة.

وقد أدت حالة الانفصام التام للنظام عن الشعب، وعمالته التامة للإمبريالية الأمريكية، إلى تغرب النظام عن أبناء الشعب وابتعاده عنهم، إلى حد بحيث إنه طرد من أوساط الشعب بهذه السرعة، ولم يبقَ منه أي ذكر بمجرد أول انتفاضة وثورة قام بها شعبنا – بعد تقديم التضحيات العظام في هذا الطريق وقد أدى ذلك إلى لفظ النظام وطرده من جميع أعوانه من صفوف الشعب باعتبارهم عناصر مريضة وعميلة وبعيدة عن أماني الشعب ورميهم جميعًا في مزابل التاريخ.

إن أهمية سياسة اللاشرقية واللاغربية تكمن أنها تكسب الاستقلال للبلد، وكذلك تقضي على نوع من الارتباط والعمالة سواء للشرق أو للغرب، وإن ذلك يولد الشخصية المستقلة والاعتماد على النفس فضلاً عن ازدهار وتفتح الطاقات والإمكانات المستترة فإظهارها إلى الوجود.

وبإمكاننا أن نرجع جذور عوامل اقتراف أكثر الأعمال الخيانية واللاشرعية للحزب، خلال السنوات العديدة الماضية، إلى هذه العمالة والذيلية للأجانب. وذلك لأن أي نوع من الارتباط لأي حزب أو فئة سياسية مع أية جهة أجنبية – سوف يجعل من ذلك الحزب أداة طيعة بيد ذلك الأجنبي – لتنفيذ سياساته المرسومة في تلك المنطقة.

وهذه هي النقطة التي يتقابل فيها الادعاء مع العمل وجهًا لوجه وبث تفرغ الشعارات التي أطلق عليها بالثورية من مضمونها الأصيل.

كانت القانونية تتحول عمليًا إلى تنفيذ أعمال مخالفة للقانون، وكانت النشاطات المدنية التي يقوم بها الحزب تقترن مع تشكيل الخلايا السرية، وكانت عمليات تجميع وتمزيق الأسلحة من قبل الحزب مستمرة على قدم وساق.

وكانت سياسة الحزب تجري تدريجيًا بعيدًا عن الصدق والواقعية وتأخذ طابع المؤامرة، وأصبحت الأمور في النهاية بهذا الشكل. حيث بات قادة الحزب يفكرون في كيفية السيطرة على مقاليد الأمور وكسب القدرة بالطرق اللاقانونية.

وأخيرًا استسلم الحزب للأمر الذي تعوّد عليه عبر تاريخه الطويل والذي أدى به في النهاية إلى المواجهة المباشرة مع النظام القانوني الذي يحكم البلاد.

وهذا المصير الذي آل إليه الحزب – يعتبر طبيعيًا جدًا، حيث إن تاريخ الحزب، منذ ظهوره وخلال جميع مراحل نشاطه اللاقانوني كان مليئًا بسياسة خسيسة، وبأعمال مخالفة للقانون. وخيانات متعددة اقترفها الحزب وهذه الأمور لا تؤدي في النهاية إلا إلى المصير الذي وصل إليه الحزب وهو الوقوف ندًا بوجه نظام الجمهورية الإسلامية في إيران.

وتحوّل الحزب الذي كان يجهد نفسه من أجل إضفاء صفة الشرعية والقانونية على نشاطاته إلى حزب غير قانوني بفعل الأعمال التي ارتكبها والتي عجلت به إلى هذا المصير.

في الحقيقة، إن وزارة الداخلية كان لها الحق منذ البداية، أن تعلن حظر الحزب وانحلاله بالاستناد إلى الممارسات اللاشرعية التي كان يقوم بها الحزب، بعيدًا عن الشعارات والأراجيف التي كان يطلقها أعلام الحزب وقادته.

لقد اختار الحزب بنفسه طريقًا غير قانوني، ووصل إلى المرحلة التي كان لابد أن يصلها – وأن الحزب حسب اعتقادي، بأعماله وممارساته الآنفة الذكر، قد أصدر حظرًا على نفسه بنفسه.

وكما أني أعتقد بأن ما بينه المشاركون في هذه المقابلة لا يدع مجالاً للشك في لزوم انحلال هذا الحزب بشكل دائم، ويخالجني هذا الشعور الآن وهو أن ضرورة تنفيذ هذه الخطوة في هذه المرحلة تعتبر مضاعفة أكثر من أي وقت مضى.

وبالطبع فإن المسئولين في وزارة الداخلية، هم المكلفون قانونيًا بإصدار أي حكم يرتئونه، سواء السماح لممارسات نشاط الحزب أو الإعلان عن حله وحظره إلى الأبد. إلا أني باعتباري أحد مسئولي الحزب – لا أكتفي بالإعلان عن حل الحزب بل أعطى لنفسي كامل الحق بالإعلان عن الانحلال النهائي للحزب بكل صراحة.

وأعلن كذلك بأنه لا يوجد بعد اليوم حزب باسم حزب تودة في إيران وكل مَنْ يدعي انتماءه لحزب تودة بعد اليوم فإنه لا يتعدى كونه عضوًا في حزب منحل ومحظور.

وإن الإعلان عن حل الحزب يعتبر نتيجة منطقية وطبيعية تمامًا إذا ما قورنت بالأعمال الجنائية التي اقترفها الحزب خلال حياته السياسية والتي أشير إلى البعض منها من قبل المشاركين في هذه المقابلة.

إن ما أوضحه المشاركون في هذه المقابلة – يعتبر بمثابة إعلان عن جرم وإدانة صريحة للحزب جاءت على لسان مسؤوليه، وإن عبء هذه الجريمة ثقيل إلى الحد الذي لا يمكن التغاضي عنه أو تعويضه إلا بحل الحزب وإخراجه نهائيًا من المسرح السياسي في هذا البلد وإنقاذ الشباب الفاضل من شباك الخداع والكذب التي وقعوا فيها؟

ومن أجل ذلك كله – فإني أعلن من هنا عن انحلال هذا الحزب، وأعتبر هذا

المصير نتيجة طبيعية ومنطقية للأعمال الخيانية واللاقانونية التي اقترفها الحزب خلال تاريخه الطويل في إيران.

وإن هذا الذي أصرح به – هو تنفيذ لمسئوليتي في الحزب ومنصبي في القادة القيادي، وأملي في ذلك أن يكون خطوة متخذة من أجل تحقيق مصالح الشعب والبلد، وأكون ولو لمرة واحدة في حياتي قد خطوت على هذا الطريق.

وبذلك أكون قد شاركت في القضاء على مخالب الفساد والتي تعتبر مسلكًا خداعًا يقف أمام الشباب المندفع بلا وعي والذي يجرهم إلى الضياع الحتمي وعسى أن أكون وحسب مسؤوليتي قد قللت من احتمال الأخطار المحدقة بالشباب وأن يحول ذلك دون وقوعهم في هذا المهلك العميق وأن يختاروا السير في الطريق القويم.

وأمَّا النداء الذي أود توجيهه إلى أنصار الحزب هو كالآتي: إني أرى من المناسب جدًا، بعد كشف النقاب عن جرائم الحزب أو الحقائق التي تدور حول تاريخه في إيران من قبل زملائي المشاركين في هذه المقابلة أن أتحدث قليلاً مع أنصار الحزب وبالأخص الشباب منهم، مع أولئك الذين اندفعوا بحب وتعلق ورغبة للعمل من أجل مستقبل أمتهم ووطنهم، وسلكوا طريقًا ترون اليوم نهايته، النهاية التي ليس فيها سوى العار والخزي والفضيحة والأسف لسالكي هذا الطريق. أقول لكل أولئك وبكل صراحة:

إنكم اندفعتم بكل صدق إلى الانخراط في صفوف الحزب بعد تأثركم بشعارات الحزب البراقة – وإنكم اندفعتم نحو الحزب نتيجة للحب والرغبة الصادقة في تقديم خدمة إلى شعبكم ووطنكم.

إنكم ولا شك قد طالعتم أدبيات الحزب ووجدتم فيها ضالتكم وأمنياتكم وإن

شعارات ونشرات الحزب التي طالعتموها قد صورت لكم ماضي الحزب وحاضره بشكل جعلكم تعتقدون بأن الانخراط في الحزب يعتبر واجبًا أساسيًا ملقى على عاتقكم – بل وحتى أحيانًا باعثًا للفخر لديكم – ولكن أيها الإخوة – إن العامل الرئيسي الذي دفعكم للانخراط في صفوف الحزب تمثل بالدعايات المضللة والكلام والشعارات الخاوية.

إن التاريخ الذي يتحدث عن ماضي الحزب والذي لقنتم به لم يكن سوى تزوير للحقائق – فلابد لكم أن تبحثوا عن الحقيقة في يوميات وسجل تاريخ الحزب. استمعوا إلى الحقائق من أفواه منفذي السياسة العميلة للحزب – أمعنوا النظر قليلاً ولو بشكل سريع فيما ورد في هذه المقابلات التي عرضت عليكم وكذلك فيما عرض في اعترافات المسؤولين الحزبيين المشاركين في هذه المقابلة عسى أن يبين ذلك لكم الوجه الحقيقي لهذا الحزب، الذي انخرطتم في صفوفه، إن حزبكم ليس حزب الجماهير المحرومة والكادحة، إن حزبكم ليس حزبًا أساسًا، إنه لا يتعدى كونه ألعوبة بين يدي الاتحاد السوفيتي، لو كنتم تضمرون في أعماقكم حبًا لشعبكم – لو كنتم تحترمون شخصيتكم واستقلالكم الذاتي وتشعرون بقيمة ذلك، أدعوكم أن تعودوا إلى أنفسكم – وأن تراجعوها قبل فوات الأوان. وقبل أن تصبحوا ألعوبة لا إرادة لكم.

افتحوا أعينكم جيدًا وانظروا إلى الأمور بتبصر، فإن هذا البلد يشهد أحداثًا هزت العالم – أحداثًا حمل أعباءها الملايين من أبناء بلدكم ليلاً ونهارًا وهم يضحون من أجل الحفاظ على انتصارهم.

أزيلوا غشاوة التعصب الأعمى لتروا أي طريق عظيم وبطولي وباعث للفخر والاعتزاز يسير في بلدكم، وفي المقابل لتروا أي مستنقع عفن آسن انحدر إليه حزبكم.

إنكم الآن في عمر الشباب وأمامكم مستقبل طويل – ومتى رأيتم في أنفسكم

جرأة اتخاذ القرار، فإن تلك اللحظة هي لحظة بداية التعويض عن الأخطاء والتكفير عن الذنوب.

أوصلوا أنفسكم إلى هذه اللحظة المصيرية قبل فوات الأوان، فليس من إنصاف أن تسلكوا وبنوايا خالصة وبهدف تقديم الخدمة طريقًا لا يؤدي بكم إلا إلى الخيانة.

كما أن عليكم أن تعرفوا هذه الحقيقة وهي أن الحزب لا يضم أكثر من هؤلاء الأعضاء ومسؤوليه الكبار الذين ترونهم أمامكم، وأن مسؤولية جميع الجرائم تعتبر مشتركة وتشملنا جميعًا ونتحمل وزرها بأنفسنا.

عودوا إلى أنفسكم قبل فوات الأوان، وإني مطمئن بأن ما سمعتموه في هذه المقابلة على لسان مسئوليكم الحزبيين قد يعتبر جديدًا عليكم وذلك لأنكم لم تقرؤوا ولم تسمعوا سوى أقوال وسائل الإعلام الحزبية، وأنكم لا تدركون تمامًا مقدار البون الشاسع بين أقوال الحزب وأعماله.

نعم إن جميع ما سمعتموه في هذه الندوة، والذي جاء على ألسنة مسئوليكم الحزبيين، يعتبر أمرًا جديدًا عليكم، ولعله أثار دهشتكم أنها الحقيقة بعينها، بل إنها الوجه الحقيقي الذي مثله واقع الحزب – وليس ما لقنوه لكم في السابق.

إنكم عشقتم الحزب عن جهل، الحزب الذي كان سيصنع منكم عبيد الأجانب ومحبين لهم ومنهجهم بدلاً من أن تكونوا خدمًا لأمتكم ووطنكم. لو لم تعودوا إلى أنفسكم قبل فوات الأوان، فإن الحزب سوف يفر بكم حتى عن طبيعتكم النفسية.

ولحسن الحظ أنكم تمتلكون الآن فرصة مراجعة ماضي الحزب وسجل أعماله من جديد مرة أخرى.

لقد آن الآن وقت اتخاذ القرار والرضوخ للحقيقة رغم مرارتها، إن القضية تحتاج إلى قدر من الشجاعة – وإني أرى فيكم أيها الشباب شجاعة الرضوخ للحقيقة المرة

– ولهذا السبب فقد خصصت حديثي إليكم.

ولتكن لديكم الجرأة على تحطيم الجدران الخانقة والتخلص من القوقعة التي فرضها الحزب عليكم، ليبعدكم عن أجواء الثورة الحيوية التي تسود وطنكم وأنقذوا أنفسكم من التعصب الحزبي – وعندها ستفهمون معنى الحياة الحرة والتفكير المستقل الحر.

لا تهابوا عواقب مثل هذا العمل – فإنكم مسئولون مسؤولية مباشرة عن تكوين شخصياتكم، وفي ذات الوقت فإن عليكم أن تكونوا خدمًا لشعبكم وبلدكم، وإني أرى فيكم القدرة على ذلك، اندفعوا للسير في هذا الطريق واتجهوا نحو شعبكم ونحو الجمهورية الإسلامية، عليكم أن تثقوا بالقوانين السارية في البلد – وكونوا أوفياء لها بكل صدق وإخلاص وعندها سترون كيف أن القانون يدافع عنكم ويضمن حقوقكم.

أيها الشباب الأعزاء – يا أنصار الحزب – إنكم تسمعون هذه الوصايا وهذا التأكيد، وهو النداء الحديثي الغني من فم حزبي قضى كل عمره في معرفة الحزب – إنكم تعرفونني جيدًا، وإني على ثقة تامة بأنكم لو عملتم بنصائحي – وما عليكم في النهاية إلا ملاحظة هذه النقطة المهمة جدًا والعمل بها بعد التدقيق بها وهي أنكم أبناء هذه التربة وشربتم من ماء هذا الوطن – أنكم تربيتم وترعرعتم في أحضان هذه الأمة – أنكم مدينون إلى خدمات أبناء هذا الشعب.

واليوم ما عليكم إلا أن تختاروا الطريق الذي يجعل منكم خدمًا لشعبكم ووطنكم – وإذا تم ذلك فإني سأطمئن بأن ندائي هذا لم يكن عبثًا ولم يذهب أدراج الرياح – بل أعطى ثماره– وأكون قد قدمت عونًا ولو بقدر ضئيل جدًا، من أجل إنقاذ أنصار الحزب المضللين وهذا ما يدخل البهجة والسرور إلى قلبي.

اعترافات «قائم بناه» عضو اللجنة المركزية لحزب تودة

إني غلام عباس قائم بناه – من مواليد عام ١٩٢٣ – تخرجت من كلية الضباط عام ١٩٥٧. انتميت إلى صفوف حزب تودة عام ١٩٤٥م عندما كنت طالبًا في الكلية – هربت من الجيش عام ١٩٥٠م إلى الاتحاد السوفيتي – وأصبحت أتنقل منذ ذلك التاريخ بين الاتحاد السوفيتي وباقي البلدان الاشتراكية – حيث كنت مقيمًا فيها.

منذ دخولي للأراضي السوفيتية عام ١٩٥٠م تعهدت لوكالة الاستخبارات السوفيتية (K.G.B) بالتعاون معها حيث استمر هذا التعاون بصيغ مختلفة.

عند اعتقالي كنت عضوًا في اللجنة المركزية لحزب تودة – وعضو لجنة التفتيش والمتابعة – التي شكلت من قبل الأمانة العامة قبل عام تقريبًا – كذلك كنت عضوًا في هيئة تحرير صحيفة (مردم – الشعب) الناطقة بلسان الحزب.

لأجل التعرف على ممارسات الحزب والأعمال التجسسية التي قام بها خلال حياته وكيفية ذلك لابد من الرجوع قليلاً إلى الوراء وتفحص تاريخ الحرب.

كما يعلم الجميع – أن حزب تودة كان قد تأسس خلال سنوات الحرب العالمية الثانية عندما كان وطنًا يرزح تحت نير احتلال الجيوش الأجنبية النازية.

تم وضع أسس هذا الحزب في تلك الأيام من قبل بعض العناصر التي ترعرعت وأُعِدَّت مسبقًا في الاتحاد السوفيتي – لتنفيذ مثل هذا العمل من أمثال «بقراطي – وآوا نسيان وروستا» وآخرين. وهؤلاء جميعًا من الذين تربوا في أحضان الجامعات الشيوعية في البلدان الاشتراكية وتخرجوا منها.

وكما هو معروف – فإن المدرسة الستالينية الفردية الحاكمة آنذاك كانت قوية ومؤثرة جدًا في الاتحاد السوفيتي – وكانت تتبع أساليب خاصة في تربية العناصر

المؤيدة لها – وإعدادها للمستقبل – وتهيئة أذهانها لإنشاء أحزاب عميلة ومرتبطة بالاتحاد السوفيتي، وزرعها في البلاد الآسيوية والمجاورة للاتحاد السوفيتي؛ ومن ثمَّ تكلف تلك الأحزاب بمهمة التجسس وجمع المعلومات الشريرة والمفيدة لصالح الاتحاد السوفيتي من تلك البلدان.

لذلك فإن ظروف التأسيس كانت بهذا الشكل – وتجسد ذلك في الأعوام التي تلت ذلك – حيث أثبتت الأحداث والتطورات التي جرت في تلك الأعوام – تبعة سياسة الحزب الكاملة للسياسة والمصالح السوفيتية.

وكمثال على ذلك، ما جرى أثناء تشكيل الحزب الديمقراطي في مقاطعة أذربيجان، والحزب الديمقراطي في مقاطعة كردستان وذلك أثناء رزوح هاتين المقاطعتين تحت احتلال الجيش الروسي وبدعم كامل من ذلك الجيش، وقد ساند حزب تودة مباشرة هذين الحزبين، وأعلن عن دعمه واعترافه بهما وأكثر من ذلك شكل ائتلافًا ثلاثيًا معهما.

ولم يستمر ذلك طويلاً. حيث أعلن حزب تودة فيما بعد عن سحب تأييده لهذين الحزبين وتنصل عنهما، وذلك بعد أن رأت السياسة الروسية في إيران أن ينسحب الجيش الروسي من التراب الإيراني ويترك الحزبان الديمقراطيان في أذربيجان وكردستان ليواجها النظام بمفردهما.

وقد تم ذلك مباشرة وبعد زيارة قام بها لموسكو (توام السلطنة) رئيس الوزراء في ذلك الوقت واتفاقه مع الحكومة السوفيتية على منح امتياز نفط الشمال لها. حيث تبعه قنصل الاتحاد السوفيتي في دعمه ومساندته وحمايته للديمقراطيين الأذربيجانيين والأكراد.

نرى في هذه الحادثة – كيف استطاع الحزب تغيير سياسته من حليفية في

الائتلاف المعلن معها – ودخوله في حوار ومباحثات ودية مع حكومة قوام السلطنة بعد استلامه إيعازًا بذلك من الاتحاد السوفيتي.

أي أن قيادة حزب تودة – لم تكتف بدعمها وحمايتها للحكومة المعادية للشعب الإيراني، التي سببت الويلات والآلام له، بل إنها وافقت على الدخول في صفوف حكومة قوام السلطنة، حيث اشترك ثلاثة من الكادر القيادي للحزب في الحكومة المشكلة بمنصب وزير، والمسألة الثانية هنا هي تطورات قضية تأميم النفط خلال أعوام (١٩٥١ – ١٩٥٣م) التي كثر الحديث عنها ويعرف أغلب أبناء الشعب تفاصيلها وتفاصيل السياسة التي انتهجها الحزب الحديث عنها، ويعرف أغلب أبناء الشعب تفاصيلها وتفاصيل السياسة التي انتهجها الحزب في تلك الفترة حيث تميزت بأنها كانت تهدف إلى تضعيف التيارات الوطنية التي كانت تنادي بتأميم النفط وتثبيط عزائمها.

وفي الحقيقة فإن الحزب التزم في هذه الحادثة سياسة داعمة لصالح الاتحاد السوفيتي، بل والتبعية الكاملة للسياسة والنوايا السوفيتية في إيران.

ولم يقدم الحزب أي نوع من المساعدات أو المعونات باتجاه اتساع التحرك الوطني لأبناء الشعب الإيراني ودفعه إلى الأمام في الوقت الذي كان هدف الجميع وقتئذ تأميم النفط الإيراني وخلال ذلك، كان الحزب يعمل دومًا من أجل تدعيم أركانه التنظيمية، وجمع شتات أعضائه، وتشجيعهم على التسلل داخل المؤسسات الحكومية، ومن ضمنها الجيش حيث نجح في ذلك إلى حد كبير.

كان هذا في الوقت الذي كان فيه الحزب لا يتجرأ على اتخاذ أية خطوة سياسية أو القيام بأي عمل مستقل – دون استشارة الأسياد في الاتحاد السوفيتي، وصدور التعليمات بذلك من موسكو؛ وبالتالي العمل وفق ما تقتضيه السياسة الخارجية

للاتحاد السوفيتي، وتلبية للمصالح السوفيتية في إيران.

وإن وزر جميع تلك الحوادث، والأعمال الخيانية والتجسسية لصالح السوفييت تتحمله الكوادر القيادية للحزب بشكل مباشر.

وقد هرب الكثير من الكوادر الحزبية وأعضاء القيادة، إلى خارج إيران بعد الانقلاب العسكري الأمريكي، الذي نُفِذَّ في ١٩ أغسطس (آب) ١٩٥٣م والذي أعيد على أثره الشاه إلى الحكم حيث أقام أغلب هؤلاء في البلاد الاشتراكية وبالأخص الاتحاد السوفيتي، وكنت شخصيًا شاهدًا على أحداث هذه المراحل من تاريخ الحزب، ورأيت بأم عيني مدى تبعية الحزب للسياسة السوفيتية بشكل تام، وخضوعه لها، و كونه منفذًا لما كانت تقرره روسيا لإيران.

وكما أنني شاهدت عن كثب، المشاركة الفعالة لمندوب الحكومة السوفيتية أو مندوب الحزب الشيوعي السوفيتي أحيانًا، أو مندوبي المؤسسات السوفيتية الأخرى، وحضورهم في جميع مؤتمرات الحزب الدورية، وكانوا يتدخلون بشكل مباشر رسمي في أعمال هذه المؤسسات والتجمعات الحزبية.

وكنموذج لذلك أورد هنا حادثة وقعت في إحدى السنوات عندما ظهر انشقاق في صفوف الحزب تزعمه بعض أعضاء اللجنة المركزية وقد امتنع أعضاء اللجنة المركزية في حينها عن إخراج المتمردين من الحزب ولكنهم اضطروا إلى إعادة النظر في قرارهم السابق بعد تدخل مندوب الاتحاد السوفيتي في القضية وأصروا بالتالي على إصدار قرار يقضي بفصل المنشقين عن صفوف الحزب.

بينما نرى في أوائل الستينيات – حيث تميزت تلك الفترة بتحسن العلاقات الاقتصادية والتجارية وتوثيقها بين النظام الشاهنشاهي الخائن والحكومة السوفيتية – قيام الحكومة السوفيتية وبهدف توطيد وتوثيق تلك العلاقات – بإصدار قرار

بتجميد نشاطات الواجهات الحزبية لحزب تودة العاملة في الاتحاد السوفيتي تقريبًا، وفرض الحظر عليها، وتأسيس جمعية أطلق عليها (جمعية المهاجرين السياسيين).

في أعقاب ذلك – أي عام ١٩٧٦م كان الحزب يمتلك محطة للبث الإذاعي في بلغاريا باسم (بيك إيران) – الرسول أو الساعي- حيث أغلقت هذه المحطة بعد تحسن العلاقات بين بلغاريا ونظام الشاه المقبور وإزاء ذلك يعلن حزب تودة عن دعمه وتأييده للإجراءات التي قامت بها الحكومتين السوفيتية والبلغارية وباقي الحكومات الاشتراكية في هذا المجال.

أي أن درجة العمالة كانت إلى حد بحيث إن زعامة الحزب لم تكن تمتلك بشكل عام أية سياسة مستقلة تصب في مصالح الشعب الإيراني بل إن جميع تلك السياسات والإجراءات المتخذة كانت تدور في محور رعاية المصالح السوفيتية في إيران. كما تأكدت لدي أثناء مرحلة الهجرة، هذه المسألة تمامًا وهي: أن الحزب يسير بشكل عام في تلك التبعية الاقتصادية للاتحاد السوفيتي – أي أن جميع إمكانات ميزانية الحزب تؤمن من قبل الاتحاد السوفيتي.

وسببت تلك التبعية الاقتصادية التامة للاتحاد السوفيتي في زمن التزامات أكثر على الكوادر القيادية للحزب، وأوجبت عليهم الوفاء بتلك الالتزامات أمام الحكومة السوفيتية.

ومن ضمن تلك الالتزامات والتنازلات التي قدمها الحزب، هو السماح لعملاء المخابرات السوفيتية (K.G.B) بالنفوذ داخل صفوف الحزب واختراق تنظيماته الداخلية – بل وحتى التغلغل إلى اللجنة المركزية وتكليف تلك العناصر المتسللة بمهمة جمع المعلومات السرية والدقيقة جدًا؛ ومن ثمَّ إيصالها إلى المصادر الخيرية والأسياد في موسكو.

ولتوضيح ذلك أورد هذا المثال: كان لدينا أحد الأشخاص في بداية نشاط الحزب يدعى «خود كام بحسن» مكلف بتنفيذ تلك المهام التجسسية وهو من قادة الحزب البارزين ثم توضح فيما بعد أن «كيانوري» نفسه يقوم بنفس تلك الأعمال.

وكما أني كنت من الأشخاص المكلفين من قبل المخابرات السوفيتية (K.G.B) للحصول على الأخبار والمعلومات من داخل تنظيمات الحزب وبالأخص حول الإيرانيين وإيصالها إليهم.

وهنا نطرح مسألة سياسة الحزب، والأعمال الخيانية التي قام بها أثناء اندلاع الثورة وفي الفترة التي أعقبت الانتصار حيث جرت مباحثات طويلة قبل انتصار الثورة بثلاثة أو أربعة أعوام داخل أوساط الكوادر القيادية للحزب، وكانت المواقف تتوزع بين مؤيد ومُدِين لحركة علماء الدين ودورهم في إشعال الثورة.

واستمر ذلك حتى انعقاد المؤتمر السادس للحزب خارج القطر على أعتاب انتصار الثورة، حيث حدثت أثر ذلك تغييرات في زعامة الحزب، وكان من أهمها انتخاب (كيانوري) لمنصب السكرتير الأول للجنة المركزية لحزب تودة في إيران.

ومع انتصار الثورة تم ترتيب الأجواء المناسبة والإعداد لعودة بعض الكوادر القيادية وأعضاء اللجنة المركزية ولجنة التخطيط لكيفية العمل بين أوساط الشعب وكذلك بعض القادة الآخرين إلى الوطن.

وقد سبق ذلك تنفيذ بعض الإجراءات التمهيدية التي ساعدت في ذلك، سواء في الاتحاد السوفيتي أو في ألمانيا الديمقراطية أو في أماكن أخرى.

ومن ضمن تلك الإجراءات تأسس شركة تجارية في الاتحاد السوفيتي؛ ومن ثمَّ نقل مقرها إلى إيران وانتخاب ثلاثة أشخاص للقيام بهذه المهمة، كان اثنان منهم من أعضاء اللجنة المركزية للحزب والثالث من الكوادر القيادية المعروفة الذي كان

يسكن الاتحاد السوفيتي منذ ثلاثين عامًا، أي منذ عام ١٩٤٦م.

وقد عاد الجميع مع تلك الشركة إلى إيران، حيث ظهر فيما بعد أن هذه الشركة هي القناة السرية التي خُطِطَ لها لتكون أداة لكسب المعلومات والأخبار الهامة التي تأخذ طابع الجاسوسية وانتزاع تلك المعلومات من السكرتير الأول للحزب، ومن القيادة الحزبية بشكل عام وإيصالها إلى المسؤولين السوفييت.

وكذلك فقد ظهر فيما بعد، أن هذه الشركات كانت قد تأسست بعد اتفاق مبيت بين (كيانوري) والمؤسسات والأجهزة السوفيتية لتحقيق هدفين.

الأول – تمثل بتقديم المعونات بشكل مباشر إلى الحزب، أو عن طريق تزويده بالسلع المجانية وبأثمان زهيدة.

والهدف الثاني – الذي كنت من المشاركين في تحقيقه ويكتسب أهمية أكبر من الأول تمثَّل بتحقيق أهداف تجسسية بحتة وبصورة مباشرة – أي جمع الأخبار والمعلومات من داخل التنظيمات الحزبية وتسليمها عن طريق السكرتير الأول للحزب (كيانوري) إلى أعضاء هذه الشركة، الذين يوصلونها بدورهم إلى الأجهزة والمؤسسات السوفيتية أو إلى السفارة السوفيتية في طهران وقد اطلعت بنفسي على تلك الأمور عن طريق أحد أعضاء الشركة الذي كان يقيم في منزلي لفترة معينة.

وكان العمل يسير بهذه الصورة – حيث كان (كيانوري) يسلم لي الأخبار والتقارير المعينة، التي كنت أرفعها بدوري إلى ذلك الشخص الذي كان يسلمها إلى السفارة السوفيتية في طهران أو المؤسسات السوفيتية ذات العلاقة. وفي المقابل كانت التقارير الجوابية تأخذ نفس المسار السابق بعد أن ترسل من قبل المسئولين السوفييت.

وقد أطلقت على مضمون أحد تلك التقارير، الذي كان سريًا للغاية ويدخل في إطار التجسس المكلف به الحزب حيث احتوى ذلك التقرير على أخبار ومعلومات تخص

الحكومة الإيرانية – والأمور السرية للبلد والقضايا السياسية للجمهورية الإسلامية.

أمّا فيما يخص الأعمال التجسسية التي قمنا بها فيمكننا تقسيمها إلى ثلاثة محاور:

المحور الأول: انخراط أعضاء القيادة واللجنة المركزية للحزب في المنظمات التجسسية لبلدان الكتلة الشرقية والاتحاد السوفيتي.

المحور الثاني: تجميع الأخبار والمعلومات السرية من داخل الخلايا الحزبية وتصنيفها في شعبة الأخبار والمعلومات وإرسالها إلى اللجنة المركزية للحزب وإلى (كيانوري) على وجه الخصوص.

وبحكم عملي ومسؤوليتي في لجنة المتابعة والتفتيش، كنت أتردد باستمرار على التنظيمات الحزبية في المدن وأتابع شئونهم حيث إصرار المسؤولين على قضية جمع المعلومات– وكتابة التقارير عن الأوضاع السائدة في البلد، وكذلك إعطاء معلومات عن مصادر جمع الأخبار وتشجيع الأعضاء على إقامة العلاقات مع الموظفين العاملين في المؤسسة الثورية المختلفة أو تشجيعهم على التسلل داخل تلك المؤسسات، وكانت جميع تلك المعلومات والأخبار تبوب وتصنف وبعد ذلك ترسل إلى الجهات العليا للحزب واللجنة المركزية.

وهذا يعني أن الأخبار والمعلومات المهمة، كانت تجمع عن طريق العناصر المتغلغلة داخل المؤسسات والأجهزة الثورية والمتسترة تحت الأقنعة المختلفة. وبعد ذلك تبوب وتلخص تلك المعلومات، وترسل إلى المراكز أو إلى السكرتير الأول للحزب (كيانوري) بالخصوص حيث يقوم بدوره في إيصالها إلى السفارة السوفيتية في طهران.

وبشكل عام يمكننا القول بأنهم حولوا الحزب إلى شبكات واسعة لتجميع المعلومات والأخبار المهمة، حيث تضم تلك الشبكات مجموعة من الشباب الأبرياء، الذين انخرطوا في صفوف الحزب ووافقوا على التعاون معه – بعد تلقينهم

بأفكار كاذبة وخداعة؛ وبالتالي رسم صورة جيدة عن الحزب وأعماله وأهدافه في أذهانهم، وأخيرًا ضلوعهم في هذا التيار التجسسي المكلف بجمع المعلومات والأخبار المهمة لصالح دولة أجنبية وقد كانت بعض الأخبار ترسل إلى المسؤولين السوفييت عن طريق السفارة الأفغانية في طهران.

وقد قال لي في إحدى المرات نفس الشخص العامل في الشركة التجارية والذي كان يأخذ الأخبار مني ويوصلها بدوره إلى السفارة السوفيتية في طهران، بأن لديه ارتباطًا مع السفارة الأفغانية في طهران وكان قد قام بمهمة تبادل الأخبار والتقارير مع السفارة الأفغانية في طهران.

وأود أن أضيف هنا أن عمالة الحزب تبدأ من تبعيته للسياسة الأجنبية أو السوفيتية في إيران؛ وبالتالي فإني باعتباري كنت أشغل منصبًا قياديًا في الحزب كنت شاهدًا على كيفية تحول الحزب إلى تيار تجسس بحت. تيار تجسس يعمل لصالح الاتحاد السوفيتي. ويشترك جميع أعضاء قيادة الحزب واللجنة المركزية في ذلك العمل التجسسي.

أمَّا بالنسبة للمشاعر التي أحملها حول تلك الأعمال الخيانية فأول القول إننا في بداية العمل الحزبي – حيث كنا شبابًا وكنا نعمل تلبية لاندفاعنا – حيث كانت الأمور تطرح أمامنا بهذه الصورة – وهي أن جميع ما نقوم به يصب في رافد العمل من أجل الاشتراكية – أي من أجل تحقيق الهدف الذي كنا نصبو إليه – وكنا نقوم بذلك دون النظر إلى وسيل تحقيق ذلك تنفيذًا لمبدأ «الغاية تبرر الوسيلة».

لقد كانت الأمور بتلك الصورة في البداية ولكن تغير ذلك بعد أن كبرنا وبدأنا ندرك الأمور جيدًا وبدأنا نشعر أن ما نقوم به هو عين الخيانة ومصداق تام لها، ولكن التيار السياسي الجارف كان إلى حد بحيث إن الإنسان عندما يكون متسرعًا في الأمور وينجرف مع هذا التيار، فإنه سرعان ما يتجرد عن الإرادة ويعجز عن

اتخاذ القرار باستقلالية وبالتالي يصبح تابعًا وطيعًا للتيار الجارف وبلا وعي ويمشي كالأداة المسيرة التي جردت منها الإرادة ويبقى وضعه هكذا ما لم يتعرض إلى ضربة مفاجئة توقظه من الغفلة التي يغط فيها.

في الحقيقة أن هذا المعتقل كان بالنسبة لنا بمثابة الضربة التي أيقظتنا من سباتنا، حيث هيأ المعتقل لنا فرصة مراجعة النفس ومحاسبة الذات، فأجريت تحقيقًا دقيقًا وعميقًا، وبعيون مفتوحة وبكامل الوعي حول الأعوام التي انصرمت من عمري، والتي قضيتها داخل صفوف الحزب، ووصلت إلى هذه النتيجة المؤسفة والمؤلمة معًا. وأنبت نفسي على وصولها إلى هذا المصير، والمستنقع الآسن الذي نحن فيه اليوم والمليء برائحة الخيانة النتنة.

وفي نهاية حديثي أود أن أشير إلى قضيتين الأولى تخص السياسة التي نتهجها الحزب وقيادته وبالأخص «كيانوري» الذي كان يدعي زورًا وبهتانا مساندته وحمايته لخط الأمام ودعمه للثورة الإسلامية، وكذلك الموقف الذي اتخذه من الثورة الإسلامية إلى المواقف المرائية والمنافقة للحزب بهذا الخصوص.

والقضية الثانية: هي قضية احتلال أفغانستان من قبل الجيش السوفيتي، وكذلك قضية الحرب التي شنها العراق على إيران وموقف الحزب من هاتين القضيتين.

لقد كان الحزب وقيادته وبالأخص «كيانوري» يعلن عن دعمه وحمايته للسياسة السوفيتية في هذا المجال، سواء في المقالات التي كان يكتبها أو في أحاديثه، ولم يكن يراعي إطلاقًا سياسة الجمهورية الإسلامية فيما يخص القضية الأفغانية – التي اعتبرها بحق سياسة سليمة وصائبة ومرتكزة على دعم الجمهورية الإسلامية لنضال الشعب المسلم في أفغانستان، وإدانة الاحتلال الأجنبي لهذا البلد – لقد نقض الحزب ذلك بشكل تام، وكان موقفه متطابقًا مع المواقف السوفيتية في هذا المجال.

والمسألة الأخرى متعلقة بالعراق، ومواقف حزب تودة فيما يخص الحرب المستعرة بين العراق وإيران وبالأخص في الفترة الأخيرة كان موقف الحزب متطابقا مع موقف الاتحاد السوفيتي، الذي التحق بدوره بالبلدان الغربية – التي اتخذت موقف الدعم والمساندة لنظام صدام – والتي لا يرون لها سقوط النظام وإحلال نظام مستقل بدلاً منه في العراق – وكان ذلك مع إعلان الحكومة السوفيتية عن دعمها وحمايتها للنظام الحاكم في العراق وإرسال الصواريخ المتطورة إلى العراق – وهذه المسائل ليست بخافية على أحد – فقد طرحت في الصحف العالمية بشكل علني.

ولكن الحزب لم يكتفَ بتجاهل هذا الأمر والامتناع عن الإشارة إليه – بل كان يعمل على تبرير ذلك بأي شكل من الأشكال – وكان (كيانوري) يشير إلى هذه الأمور بإجابته على الاستفهامات التي كانت تثار حول هذه القضايا– وكان يساند دومًا السياسة السوفيتية بهذا الشأن.

إنني بحكم منصبي الحزبي كعضو في اللجنة المركزية – أعتقد أنه ينبغي علينا جميعًا (أنا وباقي الكوادر القيادية السياسية) أن نعترف بكل صراحة أمام الشعب الإيراني – بأن جميع أعمالنا ونشاطاتنا السابقة في الحزب – كانت أعمالاً خيانية – ارتكبناها بحق هذا الشعب وهذا الوطن.

وكلمة أخيرة أود الإشارة إليها وهي أن باقي أعضاء اللجنة المركزية للحزب – كان لديهم مثل هذا الارتباط مع السوفييت وكانوا منجرفين في هذا التيار».

سنبدأ الآن في ضبط اليسار الأمريكي متلبسًا بالخيانة وإذا كانت الخيانة الاستراتيجية والتكتيكية كانت من نصيب اليسار الأمريكي.

حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي (حدتو) الذي يقبع في قيادته اليسار الأمريكي. حزب نشأ بقرار من السادات شخصيًا. وهذه أولى الأثافي وليست

آخرها بالطبع – والحزب نشأ أولاً كمنبر داخل إطار الاتحاد الاشتراكي، ونشأ فيها منبر لليمين ومنبر للوسط ومنبر لليسار، كان ذلك في ١٩٧٥م. وقبل الانتخابات البرلمانية في ١٩٧٦م تحولت المنابر إلى أحزاب حزب اليمين وحزب اليسار وحزب للوسط. إن فهمنا للظروف الموضوعية التي سادت مصر وقتها – وكذلك السياسات التي اتبعت فيما بعد ستلقي بالتأكيد ضوءًا على الدور المرسوم لهذا الحزب وكذلك يجيب على السؤال لماذا قام السادات بإنشاء منبر لليسار وحزب لليسار بعد ذلك. أي أن الحزب نشأ بقرار سلطوي وأي حزب سياسي لا ينشأ عن مواقف نضالية أو عبر انتفاضة شعبية أو كتعبير عن جنين شعبي لانتفاضة أو ثورة هو بالتأكيد حزب مشبوه أراد صانعوه من ورائه شيئًا.

ومصر في تلك الفترة كانت تتجه بمعدلات واسعة نحو الهيمنة الأمريكية وسياسة انفتاح اقتصادي مدمرة وتدمير كل صناعة وطنية والاستعداد لعقد صلح مع الكيان الصهيوني.

ما هو هذا الدور في هذا الإطار والظروف – المنوط بحزب التجمع. حسب تفسير أوساط حزب التجمع ذاته. فإن الحزب قد قام بقرار من السادات كنوع من تفتيت قوى اليسار من ناحية، ولتحقيق معرفة السادات لمدى قوة المعارضة في خطوة سياسية ما حتى يتسنى لهم اتخاذها «وأن السادات» والكلام السابق للأستاذ محمد سيد أحمد أحد قيادات حزب التجمع ومدير تحرير جريدة الأهالي «جاء ذلك في كتاب الأستاذ محمد سيد أحمد مستقبل الديمقراطية في مصر» والسؤال الآن – لماذا وافقتم وأنتم تعرفون هدف السادات هذا؟!

أمَّا التفسير الأكثر واقعية فهو أن المخطط الأمريكي استهدف من قيام مثل هذا الحزب – تجميل وجه النظام والظهور بمظهر الديمقراطية وتقديم معارضة شكلية

للسياسات الخائنة للسادات، معارضة تجمل تلك السياسات وتدعمها على المستوى الشعبي – لأن المخطط الأمريكي يعرف أن اليسار في مصر بلا شعبية هذا من ناحية – ومن ناحية أخرى فإنه مرفوض وملفوظ في الشارع السياسي بمعنى أن معارضته لسياسة ما ربما يؤدي إلى ترويجها شعبيًا وليس العكس. إن هذا سيظهر عندما نناقش بعض تلك المواقف المشبوهة لهذا الحزب المشبوه.

إن جميع الفرقاء في مصر – يتفقون على أن أهداف القوى الوطنية في مصر هي التصدي للكيان الصهيوني – وهي تحقيق استقلال وطني حقيقي تجاه قوى الاستكبار العالمي – وتحقيق خط من التنمية مستقل وغير تابع، والوقوف بجانب الحركات الطلابية والعمالية لتحقيق مطالبها في حق العمل العلني والنقابي المستقل وكذلك حقوقهم الاقتصادية. بالإضافة إلى حقوق الكادحين في حق العمل والكسب ورفع الأجور وغيرها من المطالب العادلة.

وسوف نقدم مجرد نماذج على خيانات اليسار الأمريكي على كل واحدة من هذه القضايا التي تحظى بالإجماع الوطني. إنه من الطبيعي والحالة هذه أن يكون كل عدد من صحيفة الأهالي مفعمًا بكم هائل من الخيانات والاستفزازات – ومن الطبيعي أن على الباحثين الشرفاء أن يخضعوا هذه الصحيفة لدراسة علمية خدمة لقضايا الصراع الفكري في بلادنا – وعلى أي حال فنحن سنكتفي بمجرد نماذج ليس إلا.

***

الملحوظة الجديرة بالتسجيل هنا – هي لماذا تدفع الحكومة دعمًا ماديًا مستمرًا لحزب التجمع ولصحيفة الأهالي؟!

◆◆◆

جون قرنق – الثائر التقدمي

لم تفتأ الأهالي عن الإشادة بجون – قرنق – أو جيش تحرير شعب السودان. ولمدة عامين متتاليين ٨٤ – ١٩٨٥ – ١٩٨٦. أصبح قرنق في صحيفة الأهالي – فارسًا وشريفًا وداعيًا إلى تحرير السودان – وقائدًا لجيش التحرير – الذي سيحرر السودان: شماله وجنوبه.

سنناقش الآن – حركة قرنق – لنفهم إلى أي مدى وصلت خيانة صحيفة الأهالي:

من الحقائق المعروفة أن جارانج – هذا الطفل الذكي من قبائل الدنكا الذي تلقى تعليمه في مدارس التبشير – فالتقطته وبعثت به إلى الولايات المتحدة ليواصل تعليمه الجامعي – ويعود بحركة أنيانيا عام ١٩٧٠، وفي عام ١٩٧٤ سافر مرة أخرى على الولايات المتحدة في بعثة عسكرية لمدة عام ثم توجه مرة أخرى إلى أمريكا ليحصل على الدكتوراه ويعود في نهاية ١٩٨١ ليقود حركة التمرد.

– إن مطالب الحركة تتمثل في إلغاء قوانين الشريعة الإسلامية – وتقسيم الجنوب، وسندها في ذلك أن المسلمين إقليم الجنوب يمثل ١٨٪ من السكان والمسيحيون يمثلون ١٧٪ فقط – والباقي من أهل المعتقدات الأفريقية وهؤلاء لا تشغلهم مسألة الشريعة – ومعنى ذلك أنه إن صح أن قرنق – ربيب مدارس التبشير – يعبر عن مسيحيي الجنوب فهم لا يمثلون أكثر من ٤ , ٣٪ من مجموع السودان كله، ومن هذا يبدو التعنت ظاهرًا في مطلب جارانج بوجوب تنحية الشريعة الإسلامية من التطبيق في السودان كله شماله وجنوبه خاصة وأن الشريعة لم

تطبق على غير المسلمين كما أن شعب السودان قد عبر عن تمسكه بالنهج الإسلامي بدليل أن الانتخابات أسفرت عن فوز القوى الإسلامية الثلاث في السودان «حزب الأمة – الحزب الاتحادي – الجبهة الإسلامية» بأكثر من ٩٥٪ من المقاعد على حين فاز الحزب الشيوعي مثلاً بمقعد واحد يتيم ولم يكن هذا المقعد على أساس عقائدي بل عشوائي؛ أي أن جارانج يريد بإثارة المشكلة أن تتحكم أقلية الأقلية في السودان جميعه.

والمطلب الآخر للحركة : هو إلغاء الاتفاقيات العسكرية والسياسية المبرمة مع مصر وليبيا.

أي أن مطالب الحركة تتمثل في قطع صلات السودان العربية والإسلامية وفرض هوية غير إسلامية عليه.

إذا علمنا أن السودان – كيان حيوي – للثقافة الإسلامية والأمن العربي في أفريقيا – ويمثل الامتداد الحيوي لمصر – وبه منابع النيل شريان الحياة الرئيسي لمصر وخاصة في الجنوب الذي ينطلق منه جارانج – لأدركنا أهداف تلك الحركة الحقيقية – أو الأهداف التي يريد محركو جارانج تحقيقها.

إن الحركة – التي تدعمها الولايات المتحدة – وإسرائيل وأثيوبيا – تستهدف أولاً إضعاف السودان دائمًا وإغراقه في مشاكل لا حصر لها – والمشكلة أساسًا خلقها الاستعمار الانجليزي – والهدف واضح هو منع تطور اقتصادي سوداني بالنظر إلى إمكانات السودان الهائلة والقادرة على تحقيق اكتفاء عربي من السلع الغذائية – وثانيًا الحركة تهدف باستمرار إلى استنفاد طاقة السودان العسكرية حتى لا تكون دعمًا في العمل العسكري ضد الكيان الصهيوني، وثالثًا تهدف إلى الضغط على مصر عن طريق تهديد منابع النيل – وتهديد السودان عمومًا المرتبط أمنه بأمن

مصر. كل هذا لإضعاف مصر وإخضاعها للنفوذ الأمريكي – وتقليل قدرتها على مواجهة الكيان الصهيوني.

وقليلاً من الربط بين الحقائق السابقة – يعطينا السبب الحقيقي لذلك الحماس والتأييد الذي حظيت به الحركة من اليسار الأمريكي في مصر ومن صحيفة الأهالي؛ فالحركة تخدم مصالح أمريكا – وتخدم مصالح إسرائيل وهو ذات الهدف الذي جاء من أجله اليسار الأمريكي في مصر وإذا ادعى المتحذلقون من دعاة اليسار الأمريكي أن تأييد التجمع – وجريدة الأهالي لحركة التمرد في جنوب السودان كان لكونها حركة ماركسية فالواقع أنها ليست كذلك فلا قرنق ماركسي ولا الحركة تقدمية – أمَّا قرنق فهو قس أمريكي مرتبط بمجلس الكنائس العالمي – وأمَّا الحركة فهي مجموعة من المتمردين وليسوا ثوريين إطلاقًا، والدليل أنهم أسقطوا الطائرات المدنية – وارتكبوا المذابح في الآمنين من سكان الجنوب ومنعوا معونات الإغاثة عن الجائعين.

وبديهي بعد ذلك أن مَنْ يؤيد أو يدعم حركة مثل هذه فهو خائن لأمن مصر الاستراتيجي – وخائن لمصالح السودان ومصر – ومستقبل العرب والمسلمين – وهو في النهاية يساعد بعمله هذا مخطط الأمريكان والصهاينة ومجلس الكنائس العالمي!!

◆◆◆

أفغانستان

قامت صحيفة الأهالي – لسان حال اليسار الأمريكي – بحملة ضخمة جدًا حول أفغانستان – استغرقت عشرات الصفحات من الصحيفة المذكورة – وذلك عقب رحلة قام بها رئيس تحرير الأهالي الأستاذ حسين عبد الرازق ومعه كل من السيدة أمينة النقاش أخت زوجته – وكذلك صحفي آخر «خليل عبد الكريم».

وجاء الوفد الصحفي – ليبشرنا أنه جاء بالحقائق. فحكومة كارميل من وجهة نظره حكومة وطنية – والثوار ما هم إلا حفنة من المتمردين – وجيش الاحتلال الروسي (١٥٠ ألف جندي) ونحن هنا لسنا بصدد الدفاع عن الثوار الأفغان – أو كشف التزوير والكذب في حملة الأهالي، فقط سنظهر الهدف الخفي وراء الحملة.

فإذا كان تدخل جيش احتلال أجنبي مكون من ١٥٠ ألف جندي لدعم حكومة ليست عميلة فحسب ولكنها دمية – في مواجهة حركة ثورية فاعلة بالتأكيد بدليل استمرارها وتصاعدها منذ عام ١٩٧٩ وحتى الآن – إذا كان ذلك ليس غزوًا أجنبيًا – وإن ذلك يبرره الدفاع عن المكاسب الثورية أو غيرها من المصطلحات التي تستخدم للتبرير. فما هو هدف الأهالي من ذلك؟

إن هدف جريدة الأهالي – واليسار الأمريكي في المنطقة– من زرع هذه المقولة الخائنة في نفوس الجماهير هو تبرير أي غزو أجنبي آخر أو التمهيد له – إن تلك المقولة بالطبع تسقط التراث النضالي لأي حركة ثورية – وتقدم المبرر لتدخل أمريكي هنا أو هناك – وبالطبع فإن المبررات الأمريكية أو الإسرائيلية ستكون مثلاً مطاردة الإرهاب أو الدفاع عن حقوق الأقليات أو غيرها من

المصطلحات ذاتها وإذا كان الهدف الأول هو ضرب إحدى المكتسبات الثورية التي انتزعتها الشعوب بالعرق والدم وهي عدم حق أي قوة خارجية في التدخل في شئون الدول الأخرى – فإن الهدف الثاني هو التمهيد والتبرير للضربة الأمريكية لليبيا والتي تزامنت والحملة الصحفية للأهالي مع فترة الإعداد لها. وهكذا فإن اليسار الأمريكي في مصر أراد أن يقلل ويخفف من ردود الفعل المرتقبة في الشارع المصري وذلك بإلغاء الشك حول حق الدول الكبرى في التدخل في شؤون الدول الصغرى – فبديهي أنه إذا كان من حق الاتحاد السوفيتي أن يرسل جيش احتلال مكون من ١٥٠ ألف جندي لحماية نظام كارميل ضد الثوار المسلمين بدعوى الدفاع عن الحكومات الثورية فمن حق الولايات أن تهاجم ليبيا لمطاردة الإرهاب. وشعوبنا تعرف أن كل حجج الاستكبار الروسي الأمريكي واهية، وأن التدخل في شؤون الدول الصغرى تحت أي حجة عمل عدواني ومدان شكلاً وموضوعًا – وبالتالي فحملة الأهالي تلك حملة خائنة.

◆◆◆

حكاية الإنفاق العسكري

حينما تقدمت الحكومة المصرية بميزانيتها العسكرية لعام ١٩٨٥ – ١٩٨٦ طالبت صحيفة الأهالي – بتقليل الإنفاق العسكري؛ بدعوى أن ذلك سيخفف العبء على الطبقات الكادحة. وإذا وضعنا عددًا من الحقائق في اعتبارنا لأدركنا حجم الخيانة المترتبة على هذا المطلب.

– إن مطلب تخفيض حجم الإنفاق العسكري مطلب أمريكي وإسرائيلي – وهو أحد مطالب صندوق النقد الدولي– فما الذي جعل صحيفة الأهالي تتفق مع هؤلاء في مطلب كهذا.

– إن الخبرة التاريخية لشعبنا – تدرك أن هذا المطلب – مطلب استعماري قديم ولعل الزعيم المسلم أحمد عرابي كان مدركًا لهذا حينما طالب في انتفاضته في ٩ سبتمبر ١٨٨١ بزيادة عدد الجيش المصري.

– إن أحدًا لا ينكر حجم المصاعب التي تواجه مصر من الظروف المالية والاقتصادية الحالية – وإن الحوار حول الإنفاق العسكري أمر طبيعي ولكن الحذر هنا يأتي من أن يتحول ذلك إلى فهم في الرأي العام بدلاً من أن يكون سندًا مستمرًا للأمن والدفاع والاستقرار.

– إن تخفيض الإنفاق العسكري لا يحقق بالضرورة مكسبًا في قطاعات مدنية أخرى.

– إن مصر هي أهم دول المواجهة – بشريًا وعسكريًا وسياسيًا – وإن حجم التحديات التي تأتيها من الكيان الصهيوني كبيرة جدًا – حتى رغم أنف كامب

ديفيد – وبالتالي فإن المحافظة على قوات مسلحة قوية وجاهزة هو أمر حيوي لمصر وللعالم العربي والإسلامي.

- إننا ننحاز بالقطع إلى زيادة الإنفاق العسكري – وإن الأزمة الاقتصادية ليست مبررًا لتخفيضه – ومع هذا نؤكد ضرورة تطوير نظرية أمن تعتمد على حقيقة مشاكلنا، وتعتمد على قدراتنا الذاتية في تصنيع السلاح واستخدامه، وتعتمد على إبراز الدور الإنساني أي أن تعتمد أكثر على الإنسان بما يحمله من خامات هائلة – وأهم من هذا وذاك الاستناد في توجهنا المعنوي إلى تراثنا «الأيديولوجية الإسلامية» باعتبار أن ذلك هو تميزنا الأهم ومدخلنا الأخطر للتفوق والانتصار.

والأول – أليس من الخيانة أن يطالب اليسار الأمريكي بتخفيض الإنفاق العكسري – وأن يتفق في هذا المطلب مع الكيان الصهيوني مع العلم أن إسرائيل تنفق أكثر من ثلث ميزانيتها على النواحي العسكرية؟

◆◆◆

كامب ديفيد

لا شك أن القضية الفلسطينية هي القضية المركزية لأمتنا الإسلامية – ولا شك أنها أهم تحدٍ تواجهه أمتنا الآن – ولا شك أيضًا أن فهم معادلات الصراع مع الصهيونية مدخل هام لفهم كثير من السياسات والمواقف في المنطقة حاليًا ومستقبلاً.

وأمتنا – صاحبة المصلحة في التصدي للكيان الصهيوني– وبما أنها مستهدفة كأمة وكحضارة وكتواجد سياسي واقتصادي واجتماعي – تصدت منذ الوهلة الأولى للخطر الصهيوني واختارت عن وعي وقناعة – طريقًا وحيدًا لا بديل له وهو «الكفاح المسلح – الأيديولوجية الإسلامية – حرب التحرير الشعبية – رفض كافة أشكال التصالح والتفاوض مع الكيان الصهيوني» واستهدفت أمتنا دائمًا انتزاع حقها في الكفاح المسلح رغم أنف الأنظمة المستبدة – والأحزاب المغتربة التي حاولت تحويل مسار أمتنا إلى طرق جانبية وهامية كما أن أمتنا خاضت صراعًا مريرًا ضد الأطروحات الانتهازية اليمينية واليسارية التي كانت تحاول وما زالت تحاول أن تلقي بظلال من الشك حول جدوى التصدي الجذري واللاتفاوض لأمتنا.

ولقد دفعت الأمة – وعبر مرحلة طويلة من الكفاح – العديد من قوافل الشهداء وقدمت أنماطًا من الكفاح الفذ برغم الحصار الحكومي والعلماني. فمنذ الوهلة الأولى تصدى الفلاحون الفقراء بالسلاح لموجات الهجرة الصهيونية وتوالت بعد ذلك الانتفاضات الشعبية – حائط البراق – ثورة ١٩٢٩ – ثورة ١٩٣٦ – كفاح عز الدين القسام ١٩٣٥ – كفاح القساميين ١٩٣٦ – ١٩٤٠ العديد من العمليات الفدائية في الثلاثينيات والأربعينيات – حرب ١٩٤٨

ومشاركة القوى الإسلامية فيها – حافظ سلامة – معركة السويس ١٩٧٣ – بلال حفص – راغب حرب ١٩٨٢ وما بعدها.

وعلى الجانب الآخر استهدف الكيان الصهيوني مجموعة من الأهداف هي:

- تدمير أي توجه شعبي نحو الكفاح المسلح.

- جعل إسرائيل أمرًا واقعًا، ومحاولة جعل المسلمين يتقبلونها وذلك عن طريق عملية زرع اليأس في قلوب الجماهير، وعملية تغريب حضاري للجماهير لإسقاط أيديولوجيتها من الاعتبار.

- التفاهم – والتصالح مع الأنظمة العربية.

ولا شك أن القوى العلمانية تلعب دورًا هامًا في عملية التغريب الحضاري.

وبالتالي فقد خدمت بوعي أو بدون وعي المخطط الصهيوني كما أنها طرحت التفاوض كأسلوب بديل للكفاح المسلح فماذا كان دور اليسار في ذلك؟

وفي الواقع – فإن اليسار العربي – كان أكثر القوى العلمانية خيانة في هذا الإطار – بل إن مفكرين شرفاء ومرموقين مثل الأستاذ طارق البشري يرى أن اليسار زُرِعَ زرعًا في العالم العربي خدمة للتوجه الصهيوني ومن الحقائق التي لا ينكرها أحد بما فيهم اليساريون أنفسهم أن اليسار العربي وقف دائمًا مع حق إسرائيل في الوجود – ووقف دائمًا مع التصالح مع الكيان الصهيوني ولم يقف يومًا مع الطرح الذي اختارته الأمة لإدارة الصراع وإذا كان اليسار العربي – قد قاتل إلى جانب الصهاينة أحيانًا – وأدان كفاح الجماهير ضد الكيان الصهيوني دائمًا. فإننا نرى أن هذا السبب كان هو الأهم في كون اليسار العربي وُلِدَ ميتًا وتدشن دفنه عندما أعلن الاعتراف بالكيان الصهيوني عام ١٩٤٨م.

واليسار المصري – الذي نشأ على يد اليهود أصلاً – جوزيف روزنتال – هليل

شوارتز – هنري كورييل – مارسيل إسرائيل كان مثالاً واضحًا على الخيانة الاستراتيجية والتكتيكية لأمتنا في هذه القضية والمقدمة السابقة هامة لكي نفهم موقف اليسار الأمريكي «حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي» من كامب ديفيد. عارض الإسلاميون بالطبع كامب ديفيد – وعارضتها الجماهير المسلمة وكانت المعارضة هنا استراتيجية بمعنى أنها معارضة ليست لكامب ديفيد وحدها – ولا لسياسات السادات وحدها – ولكن معارضة لكل تفاوض أو صلح أو اعتراف بإسرائيل أو حتى تعبير خط الصراع معها.

وعارض قطاع من العلمانيين كامب ديفيد – ولكن لأسباب تكتيكية. منها مثلاً أنهم يرونها صلحًا منفردًا – أو أن كامب ديفيد تستبعد قوى ودولاً هم يؤيدونها، أو لخصومة شخصية مع السادات أو غيرها.

وقد عارض حزب التجمع «اليسار الأمريكي» اتفاقية كامب ديفيد لأسباب تكتيكية أيضًا، وموقفه المعلن من القضية الفلسطينية حاليًا كالتالي : «نحن بكل تأكيد نصر على أن تجري تسوية النزاع في إطار مؤتمر دولي بحضور كافة الأطراف المعنية – وتشمل هذه الأطراف منظمة التحرير الفلسطينية والاتحاد السوفيتي» من مقال محمد سيد أحمد مدير تحرير الأهالي – العدد ١٣/ ١١/ ٨٥ وكذلك نرى نفس الموقف في افتتاحيات الأهالي – وفي برنامج الحزب ذاته وفي تصريحات قيادته – وهذا الموقف يترجم إيمان اليسار الأمريكي بحق إسرائيل في الوجود – واعترافه بها كدولة – وإيمانه بمنهج السلام ولكن في إطار شامل يضم منظمة التحرير والاتحاد السوفيتي.

البعض فسر هذا الموقف – المؤيد للسلام ولكن ليس في إطار كامب ديفيد – على أنه جاء لإشراك السوفييت في اللعبة – أو لأسباب عرفاتية بمعنى أن عرفات يدفع

للأهالي ويدللون عن ذلك بأن التجمع أيد الاتفاق الأردني الفلسطيني – كما أيد إعلان القاهرة – وهما لا يختلفان في الجوهر عن كامب ديفيد. ومن ناحيتنا فإننا نرى هذه التفسيرات تبسيطية أكثر مما ينبغي، ومعرفتنا لبعض قواعد لعبة الصراع الفكري – فالولايات المتحدة رأس الحربة الاستعمارية حاليًا حققت عن طريق معارضة اليسار الأمريكي لكامب ديفيد عددًا من الأهداف .

أولها : أنها تضمن أن تكون المعارضة غير جذرية خدمة لمصالح إسرائيل – وبديهي إن مَنْ يعارض كامب ديفيد ويقف مع السلام في مؤتمر دولي هو في النهاية يخدم أهداف إسرائيل.

وثانيًا : ضمنت تشويه سمعة المعارضين – فالجماهير بحسها التاريخي – ترتاب في مواقف اليسار – دائمًا – وبالتالي فمعارضة اليسار لكامب ديفيد سيروجها وليس العكس .

وثالثًا : فإن كون اليسار الأمريكي من المعارضين لكامب ديفيد ستضمن لليسار بعض الشعبية يستطيع من خلالها ممارسة مهمته التغريبية على الجماهير.

◆◆◆

سليمان خاطر

حظيت قضية سليمان خاطر بتعاطف شعبي منطقع النظير، وأثارت القضية جموع الجماهير التي راحت تتظاهر تضامنًا مع سليمان خاطر.. وتطورت الحركة إلى رفض شعبي شامل للتصالح مع الكيان الصهيوني.. والمطالبة بحرب تحرير شعبية إسلامية طويلة المدى ضد الكيان الصهيوني ومجمل المصالح الأمريكية في المنطقة.. وكانت الحركة من الاتساع والعمق ووضوح الشعارات بحيث إنها حققت أهم وأكبر التفاف شعبي حولها منذ عشرات السنين.

ولا شك أن الصحافة المعارضة – كان لابد أن تلعب دورًا في تأييد الحركة ودعمها فهذا واجب أخلاقي أولاً – كما أن الحركة كان يمكن لها أن تتطور إلى حركة كاملة باتجاه إلغاء كامب ديفيد وانتزاع مزيد من الحريات على الصعيد الطلابي والنيابي والنقابي.

وسوف نفهم الدور الشيوعي لليسار الأمريكي في مصر – إذا ما قارنا بين تغطية جريدة الشعب الناطقة بلسان حزب العمل – وبين تغطية جريدة الأهالي «لسان حال اليسار الأمريكي» – فإذا ما علمنا مثلاً حماس الأولى – وقلة حماس الثانية لعلمنا على الفور تلك الخطة المفصلية التي تظهر فيها حقيقة اليسار الأمريكي – فإذا أضفنا إلى ذلك حماس قيادة حزب العمل لسليمان خاطر – وعدم حماس قيادة حزب التجمع له لزاد ذلك في الأمر وضوحًا. فمثلا المهندس إبراهيم شكري يذهب إلى «أكياد» مسقط رأس سليمان – وكذلك في ذكرى الأربعين يحدث الشيء ذاته – كما ينظم حزب العمل مثلاً عددًا من المؤتمرات السياسية تضامنًا مع سليمان خاطر – في حين لا يحدث شيء من هذا في حزب التجمع.

إن حزب التجمع مثلاً – يمكن أن يقوم بعمل مؤتمر سياسي في الذكرى الأولى أو الثانية أو غيرها لاستشهاد سليمان خاطر – ولكن لماذا يتخلف في لحظات الذروة – هنا «مربط الفرس». هنا التفسير الحقيقي للدور المشبوه لليسار الأمريكي – فإذا ما كانت الأجواء هادئة فلا مانع من مجاراة الوجدان الشعبي – أمَّا إذا كان هناك تحركًا شعبيًا حقيقيًا يهدد المصالح الأمريكية – فالدور الحقيقي لليسار الأمريكي – يظهر – إمَّا بطريقة تهدئة الأوضاع – وإمَّا بتقديم التحليلات التخديرية – وإمَّا بإرهاب الجماهير وتخويفها – أو بإلقاء ظلال من الشك حول القضية التي حظيت بالإجماع الشعبي.

لقد قام اليسار الأمريكي بكل هذا في قضية سليمان خاطر فمن ناحية – تعامل خالد محيي الدين رئيس حزب التجمع مع الموضوع بصورة أقل مما هو مفروض – ومن ناحية ثانية قام الدكتور رفعت السعيد أحد أركان حزب التجمع بالتصريح لصحيفة عكاظ السعودية بأنه مقتنع بانتحار سليمان خاطر!! على عكس الوجدان الشعبي تمامًا – وعلى عكس الحقائق المجردة أيضًا.

أمَّا صحيفة الأهالي – فمنذ كانت شبه خالية من التغطية الخبرية أو التحليلات السياسية في عددها الصادر ٨ يناير ١٩٨٦. وذلك في وقت الذروة حيث كان المد الجماهيري في أوجه – واكتفت بنشر البيان الرسمي عن مقتل سليمان خاطر داخل السجن. بل الأخطر من هذا أن المانشيت الرئيسي للصحيفة «الأهالي» كان يتحدث عن أن وزارة الداخلية تجهز لضربة واسعة لقيادات المتظاهرين ويمكننا أن نفهم الهدف من هذا المانشيت الرئيسي إذا فهمنا أن هناك مدًا شعبيًا عارمًا – وأن هناك مظاهرات مستمرة – وأن سليمان خاطر استشهد في سجنه والمحصلة أن هناك احتمالاً قائمًا بظهور حركة شعبية فاعلة – ولنا أن نتخيل شخصًا ما يأتي في وسط

مظاهرة يقول البوليس سيعتقلكم – بالتأكيد سيؤدي هذا لشيء من البلبلة وردود الأفعال التي ستؤثر حتمًا على تلك المظاهرة باتجاه سلبي. إن ظروف العمل الشعبي وقتها وظروف الوضع السياسي ومقتل سليمان داخل زنزانته – وتوقيت ظهور المانشيت بهذا الشكل «ظهر المانشيت يوم ٦/ ١/ ١٩٨٦ وكان سليمان قد قتل يوم ٤/ ١/ ١٩٨٦» يعطينا دلالة واضحة على أن هذا المانشيت كان محاولة إجهاضية خائنة من قبل صحيفة الأهالي.

حسنًا – وفي الأسبوع التالي مباشرة – اعتذرت صحيفة الأهالي عن تغطية أحداث «أكياد» بقولها إن مراسلها في أكياد «ثروت شلبي» ما زال محاصرًا وغير قادر على الخروج من البلدة – والسؤال الآن – وكيف خرج الصحفيون الآخرون؟! نعم إن البلد محاصرة – ولكن للصحفيين وسائلهم.

كما ظهر تحليل سياسي كتبه مدير تحرير الجريدة «صلاح عيسى» جاء فيه أن سليمان خاطر مصاب بشطحات صوفية وعدم اتزان عقلي. أليس هذا تشكيكًا ومحاولة للقول بأن احتمال انتحار سليمان أمر وارد، والهدف واضح وهو إجهاض المد الشعبي وتقليل الحماس الجماهيري مع سليمان خاطر وقضيته.

كان هذا في ذروة المد الجماهيري – وإذا ما هدأ المد الجماهيري وتقلص خطر ذلك المد على المصالح الأمريكية– فلا مانع بعدها لليسار الأمريكي من أن يتبنى القضية ولكن بعد موتها.

◆◆◆

الحركة الطلابية

لا شك أن الحركة الطلابية – هي إحدى أهم قلاع العمل الشعبي في مصر، ولا شك أن تاريخ الحركة الطلابية تاريخ مشرف – ولا شك أيضًا أن الحركة الطلابية كانت دائما في قلب الحركة الشعبية إن لم تكن طليعتها وبالطبع فليس هنا مجال الحديث عن تاريخ الحركة الطلابية – إننا فقط سنقدم نموذجًا لخيانات اليسار الأمريكي في مصر في مسالة الحركة الطلابية. والوقائع كثيرة – ولكننا سنقدم نموذجًا واحدًا منها – أشارت إليه أكثر من جهة منها صحف الخليج – ويعترف بها الماركسيون – كما أن الناصريين كانوا شهودها.

في عام ١٩٨٤ – اتخذت الحركة الطلابية موقفًا رائعًا – يمكن اعتباره بحق بداية الحركة الطلابية الثالثة من أجل جامعة مستقلة – ومن أجل عمل طلابي حر بعيدًا عن وصاية اللوائح المشبوهة التي فعَّلها نظام السادات – كانت الحركة الطلابية في المنصورة من أهم فصائل العمل الطلابي في مجمل الحركة الطلابية المصرية.

في نهاية ديسمبر ١٩٨٤ قام طلاب جامعة المنصورة بإضراب شامل من أجل تغيير اللائحة ورفع الوصايا وغيرها من المطالب الطلابية، وانتشر المد الطلابي إلى جامعة القاهرة والإسكندرية المهم أن الحركة في المنصورة كانت تتسم بالشكل الجبهوي فقد كان فيها الإسلاميون – الناصريون – الماركسيون. وبينما كانت الحركة تتصاعد والإضراب يزداد نجاحًا. فوجئ الطلاب بموقف الماركسيين الغريب – وهو الدعوة إلى فض مفاجئ للإضراب – ورغم أن الطلاب قد رفضوا تلك الدعوة المشبوهة. كما رفضها الإسلاميون والناصريون – بل إن الناصريين اتهموا الماركسية بالخيانة، وقام الصحفي محمد بدر بفضح ذلك الموقف المشبوه في صحيفة

«الخليج» التي تصدر في دولة الإمارات ولكن لماذا كان ذلك الموقف؟! إن تسجيل وقائع القصة سوف يضع النقط على الحروف – اتصل وزير الداخلية وقتها اللواء «حسن أبو باشا» بالسيد خالد محيي الدين رئيس حزب التجمع – ووعد السيد خالد محيي الدين وزير الداخلية بأن يصدر تعليمات للطلاب التابعين للتجمع داخل الحركة في المنصورة وذلك في مقابل ألا تتدخل الحكومة في الانتخابات التكميلية في الإسكندرية بين أبو العز الحريري مرشح التجمع وآخر يمثل الحزب الوطني «حزب الحكومة» – وعقب هذا الاتصال الهاتفي – فوجئ الطلاب بجريدة الأهالي تعلن عن انتهاء الإضراب بجامعة المنصورة رغم أن الإضراب كان قائمًا وفي أقوى مراحله. وتبعها الطلاب الماركسيون الذين دعوا إلى إنهاء الإضراب.

والخيانة هنا واضحة – فالمفروض أن جريدة الأهالي – جريدة معارضة – وبصرف النظر عن الموقف المشين الذي اتخذه رئيس حزب التجمع حيث باع الحركة الطلابية في مقابل نجاح أحد مرشحي التجمع في الانتخابات – فإن الصحيفة بنشرها الخبر الكاذب قد ضربت الحركة الطلابية في المنصورة في مقتل؛ لأنه من المفروض بحكم كونها جريدة معارضة فسوف يصدقها الطلابية العاديون وبالتالي فالهدف كان فض جماهير الطلاب عن قياداتهم الإسلامية أو الناصرية التي استمرت في الإضراب.

وبداية فإن موقف خالد محيي الدين كان مشينًا – وكذلك استجابة الطلاب الماركسيين لنصائح رئيس التجمع كان أيضًا مشينًا – ولكن كل هذا ضئيل بالمقارنة إلى دعوة هؤلاء الماركسيين من الطلاب إلى إنهاء إضراب وإلى ذلك الخبر الكاذب الذي نشرته الأهالي. كان من المفروض ألا يتاجر خالد محيي الدين بالنضال الطلابي ولا يبيع تضحيات الطلاب من أجل فوز مرشح الحزب في الإسكندرية – وكان من

المفروض ألا يستجيب الطلاب الماركسيون لنصائح خالد محيي الدين وأن يكونوا رجالاً ويقفوا مع الحركة حتى نهايتها – ولكن الخيانة المركبة كانت هنا أن هؤلاء لم يستجيبوا فقط لخالد محيي الدين ولكن ضربوا الحركة في ظهرها بدعوتهم إلى إنهاء الإضراب – كان عليهم على الأقل أن ينسحبوا ويتركوا الحركة وشأنها.

وللأمانة فإن الدكتور رفعت السعيد أمين عام الحزب قد رفض هذا الموقف. كما أنه من الجدير بالذكر أن جريدة الأهالي لم تنفِ أي شيء متعلق بهذا الموضوع حينما تحدثت عنه الأوساط الصحفية والطلابية.

◆◆◆

انتفاضة عمالية ناجحة

سنقدم الآن نموذجًا آخر – من نماذج التصرفات المشبوهة لليسار الأمريكي. والقضية هنا أن عمال شركة المحلات الصناعية للحرير والقطن «إسكو» قد خاضوا معركة ناجحة بكل المقاييس استطاعوا خلالها أن يحصلوا على حقوقهم في صرف أجرهم عن الراحة الأسبوعية كما ينص القانون، وطبيعي أن العمال لجؤوا في ذلك إلى المحاكم والرأي العام، وإلى الامتناع عن صرف مرتباتهم، وإلى الاعتصام داخل المصانع، وأخيرًا إلى الإضراب.

والآن لنرَ كيف تصرفت جريدة الأهالي تجاه ذلك العمل النقابي والعمالي الناجح بكل المقاييس؟

سنستدعي أحد العمال للشهادة – والشهادة منشورة في مجلة «الحقيقة» غير الدورية – العدد ٨ – ورقم إيداعها في دار الكتب ٦٠٩٧/ ١٩٨٠ عدد إبريل ١٩٨٦ ص٤٦. تحت عنوان خبرة كفاح عمال إسكو – والعامل صاحب الشهادة هو محمد المنشاوي – الذي يقول : «بعد أن حصل العمال على الحكم المبدئي راحت جريدة الأهالي تضخم في الموضوع وتنشر عن المبالغ الضخمة التي ستتحملها الدولة من جراء تنفيذ الحكم كما لو كانت تحرض على عدم تنفيذه، وأن هذا الحكم لو طُبِّق على عمال «إسكو» فسيطبق على كل عمال القطاع العام الأمر الذي صعب من مهمة المفاوض باسم عمال «اسكو»، ومن ناحية ثانية ادعت جريدة الأهالي أن خالد محيي الدين تدخل فاستجابت الحكومة ومعنى هذا إنكار لدور العمال النضالي – كما أن صحيفة الأهالي قامت بعمل تحقيقات صحفية مع عدد من أعضاء اللجنة النقابية ونشرت صورهم مع أن هؤلاء الأعضاء بالذات كان العمال قد منعوهم من

دخول مصانعهم أثناء الإضراب».

ووفقًا لمخطط اليسار الأمريكي – فإن صحيفة الأهالي لم تكن تريد للعمال أن يكسبوا معركتهم – لأن هذا يعطي العمال ثقة في أنفسهم ويحقق أثرًا إيجابيًا على مسيرة النضال العمالي – وهذا هو سر التحريض الخفي للجريدة للحكومة على عدم الاستجابة لمطالب العمال.

أمَّا إذا كسب العمال المعركة – فلابد من سحب رصيد الثقة – وليكن ذلك بطريقة أن العمال لم يكسبوا هم المعركة – ولكن كسبها خالد محيي الدين – والهدف واضح جدًا – وهو أن على العمال ألا يتعبوا أنفسهم ويخوضوا معاركهم – فإن خالد محيي الدين يخوضها بدلاً منهم – وهذا الأمر هو إحدى السمات الثابتة لتصرفات اليسار الأمريكي – وهو أن يأخذوا من المواقف ما يسحب رصيد الثقة من المناضلين، وأن يدعوا إلى ثورية زائفة تسمح لهم بالحصول على توكيل من الجماهير يضمن به اليسار الأمريكي ألا تتجاوز تلك الجماهير الخط الأحمر في ضرب مصالح الاستعمار أو الاضطلاع بمهام المعارك التي تعنيهم.

◆◆◆

الإعلانات

إذا ما تتبعنا الإعلانات في جريدة الأهالي – نكتشف عجبًا؛ سنكتشف حقيقة هذه الجريدة – وحقيقة توجهاتها – وأي فئة من الناس تخدم ولصالح مَنْ تعمل.

ومن البديهيات المعروفة في الأوساط الصحفية أن الإعلان إمَّا يعبر عن حاجة إعلانية حقيقية. وإمَّا أنه عملية دعم للجريدة من المعلنين باعتبار أن المعلن مقتنع بخط الجريدة الشخصي – أو كشركة وفي حالة «كشركة» فإن الصحيفة تكون مدافعة عن مصالح هذه الشركة أو القوى التي تمثلها. ومن ناحية ثانية فإن الأخلاق الصحفية تقتضي أن تكون الشركة أو السلعة المعلن عنها لا تمثل خطرًا على مبادئ تلك الصحيفة من قريب أو بعيد.

وفي حالة الحاجة الحقيقية للمعلنين – فإن المعلن يبحث عن وسيلة واسعة الانتشار وعادة ما يكون التلفزيون أو صحيفة يومية كبيرة هي طريق إلى ذلك. ونحن لا نضيف جديدًا إذا قلنا إن صحيفة الأهالي – لا تتحقق فيها هذه الشروط.

إن عينة عشوائية من صحيفة الأهالي – تعطينا عددًا من النماذج الإعلانية التالية.

– إعلانات لوزارات وهيئات حكومية – أحيانًا على صفحة كاملة «الصفحة الأخيرة عادة» وزارة الزراعة مثلاً – وزارة الصناعة. البنوك إلخ. وبديهي أن تلك الوزارات وزارات حزبية ومن الطبيعي أن تعلن إمَّا في التليفزيون أو في الصحف القومية – أو حتى في صحف الحزب الوطني – فلماذا ظهرت تلك الإعلانات في الأهالي– هل هو دعم حكومي؟! ولماذا – خاصة أن وزارة الزراعة مثلاً يقف على رأسها أمين عام الحزب الوطني «الدكتور يوسف والي»! وإن لم يكن دعم حكومي

فهل هو رشوة؟!!

- إعلانات كثيفة متكررة لشركات «عثمان أحمد عثمان : مثل شركة شويبس - شركة الشرق الأوسط لاستصلاح الأراضي - شركة قناة السويس للتأمين - بنك المهندس. وكل هذه شركات عثمانية نسبة إلى عثمان أحمد عثمان» فهل هي رشوة عثمانية أم يا ترى اقتناع بالدور الوطني لشركات عثمان الانفتاحية - أم أن الشويبس على يسار البيبسي.

- إعلانات لبعض شركات يقوم على أمرها عناصر تنتمي إلى التيار الإسلامي مثل شركة الشريف للبلاستيك - مجموعة شركات الهلال - شركة الريان!!

- شركات انفتاحية - سعودية وكويتية وأمريكية وغيرها مثل مجموعة الشركات المصرية السعودية للاستثمار والتنمية - البنك العربي الأفريقي الدولية - بنك الإسكندرية الكويت الدولي - شركات عبد الرحيم البيضاني (بتاع المجاري).

والسؤال - هل «الأهالي مقتنعة بالدور الوطني للشركات الانفتاحية أم أن الشركات الانفتاحية مقتنعة بدور ما «للأهالي»؟!!

◆ ◆ ◆

التغريب الثقافي

التغريب الثقافي أو التخريب الثقافي.. وعن التغريب فحدث ولا حرج – فالواقع أنه ما من نقيصة تغريبية إلا وارتكبتها «الأهالي»، وما من قيمة وطنية إلا وحاولت «الأهالي» هدمها، ومن نافلة القول أن الثقافة الشعبية «إسلامية» لحمًا وسدى، وأنها الجامع الوحيد القادر على تحريك الأمة وتحقيق تضامنها والتقدم صوب آمالها وقهر تحدياتها – على كل حال سنقدم نماذج.. مجرد نماذج.

◆◆◆

لاهوت التحرير – وقساوسة ثوريون

على رأس هؤلاء تأتي فريدة النقاش – زوجة رئيس التحرير وهي تحدثنا وقد وضعت يدها أسفل ذقنها عن لاهوت التحرير – وعن قساوسة ثوريين في أمريكا اللاتينية وتتناسى تمامًا الدور الوطني الفذ الذي قام به علماء الإسلام في الكفاح ضد الاستعمار والصهيونية والظلم الاجتماعي وبداية – فلا مانع من الحديث عن لاهوت التحرير والقساوسة الثوريين ولكن بشرط ألا تتناسى كفاح علمائنا – وإذا كان تقديم النماذج الثورية أمر جيد فلنقدم نماذجنا أولاً ثم نقدم نماذج الآخرين. وإذا علمنا مثلاً أن تاريخنا القديم والحديث والمعاصر مفعم بالنماذج الثورية لأدركنا كم هو غريب ذلك التناسي أو الإهمال. في تاريخنا المعاصر مثلاً هناك الشيخ المجاهد عمر المختار الذي قاتل ضد الإيطاليين في ليبيا، وهناك الشيخ المجاهد عبد القادر الجزائري الذي قاتل الفرنسيين في الجزائر – وفي مصر هناك محمد كريم – عمر مكرم – الأفغاني – النديم – مصطفى كامل – محمد فريد – حسن البنا، وفي العراق آية الله الشرازي – وفي لبنان بلال فحص وراغب حرب – وفي فلسطين عز الدين القسام – وفي مصر مرة أخرى هناك حافظ سلامة بطل معركة السويس. فلماذا السكوت عن هؤلاء جميعًا – هل لأنهم إمَّا علماء دين أو منتمين إلى وجدان الأمة «الإسلامي» والهدف هنا واضح من تجاهل هؤلاء – وإبراز الآخرين وهو أن يتلقى الوجدان الشعبي في مصر صدمة تجعله يفقد الثقة في نفسه – فما دام الآخرون ثائرين ونحن غير ثوريين – فهم من طينة أخرى – أو نحن لا نقدر على الثورة – والمستفيدون من هذا هو الاستثمار الأمريكي قطعًا بالإضافة إلى أن الاستعمار الأمريكي يدرك أنه لا ثورة في بلادنا بدون إسلام ولا ثورة بدون علمائه المجاهدين

– وبالتالي فإن طمس هذه الحقيقة وتجاهل التواصل التاريخي لكفاحنا يعني مباشرة تعطيل متعمد لقضية الثورة في بلادنا – فلحساب مَنْ يقوم اليسار التجميع في مصر بهذا؟ لحساب الاستعمار الأمريكي قطعًا.

وفي هذا الإطار ذاته – وقف السيد خالد محيي الدين رئيس حزب التجمع يدعو شعب لبنان في صيف ١٩٨٢ إلى الاقتداء بشعب ستالينجراد في التصدي للاحتلال. وذلك إبَّان الغزو الصهيوني المجرم على شبعا في لبنان في ١٩٨٢، وبالطبع تناسى السيد خالد أن يدعو شعب لبنان مثلاً إلى الاقتداء بشعب «عكا» مثلاً حينما تصدى لنابليون بونابرت. والهدف كسابقه – الهدف أيضًا الإيحاء بأن تاريخنا مجدب لدرجة استعارة تاريخ الآخرين – وإذا كان تاريخنا مجدبًا «وهو قطعًا غير مجدب بل خصب وخلاق» فلماذا يكون حاضرنا مثمرًا؟

تحذير: إن انحيازنا لكفاحنا – ولمجاهدينا لا يعني أننا لا نحترم ولا نقدر كفاح الآخرين.

◆◆◆

البابا شنودة – لا فض فوه

البابا شنودة من الثوابت في جريدة الأهالي – فالجريدة لم تكن تفتأ عن المطالبة بعودته – قبل عودته – أو الإشادة بمواقفه – ولنا هنا بعض الملاحظات على تلك المسألة.

إذا كان الأمر مجرد الدعوة إلى إلغاء قرارات سبتمبر التي طالت البابا شنودة. فلماذا تم تجاهل كل من الشيخ أحمد المحلاوي. الشيخ عبد الحميد كشك – الشيخ حافظ – الشيخ عبد الرشيد وآخرين من علماء الإسلامي؟ هل لأن البابا شنودة يمثل قطاعًا سكانيًا أكبر من هؤلاء – هو السبب؟!

– هل يرجع السبب في هذا إلى ارتباط البابا شنودة بمجلس الكنائس العالمي ذي الصلة المباشرة بالمخابرات الأمريكية – وجدير بالذكر هنا أن محكمة القضاء الإداري ألغت جميع قرارات سبتمبر الساداتية ما عدا قرار عزل البابا شنودة مستندة إلى تلك الصلات المشبوهة للبابا شنودة بمجلس الكنائس العالمي، وإلى دوره المشبوه في إذكاء نيران الفتنة الطائفية.

ملاحظة: إننا نؤمن بأن البابا شنودة قد تخلى عن التراث القبطي في مصر – وأنه على عكس العقيدة الأرثوذكسية ارتبط بالولايات المتحدة، وفرض أن الأقباط الأرثوذكسي في مصر لهم تاريخهم الخاص – الذي يؤهلهم لرفض التغريب فهم كنيسة مستقلة في العقائد، وأنها تعرضت للتذويب والاضطهاد على يد الرومان – الصليبيين والاستعمار – وأن هامش التحالف بين المسلمين والأقباط الأرثوذكس في مواجهة الاستعمار والصهيونية هامش كبير جدًا. «راجع كتابنا ملف الكنيسة المصرية – دار المختار الإسلامي – ١٩٨٦».

وداعًا بونابرت

أشادت صحيفة الأهالي بفيلم وداعًا بونابرت ومخرجه يوسف شاهين فهل معنى هذا أن صحيفة الأهالي تؤمن بنمط التعايش الذي نادى به يوسف شاهين في فيلمه المذكور بين العرب والشرق على طريقة «علي – كافاريللي» التي جاءت في الفيلم على صورة علاقة شذوذ جنسي بين الاثنين – مع ملاحظة أن «كافاريللي» حسب رواية الفيلم كان جنرالاً في الحملة الفرنسية وأن «علي» كان ينتقد موقف المجاهدين الرافضين للحملة بكافة صورها والرافعين بوجهها السلاح – وفي الحقيقة فإن جريدة الأهالي لا تفتأ تقدم رؤيتها الثقافة والنقدية في كل القضايا الثقافية والفنية متبنية نفس المنظور السابق – وسؤالنا لها – هل يمكن التعايش بين الاستعمار وضحاياه؟!!

◆◆◆

فرج فوده

الدكتور فرج فوده – صاحب كتاب «قبل السقوط» وصاحب السهم الأكبر في الهجوم الإعلامي على الإسلام والتيار الإسلامي – وإذا كان الهجوم على التيار الإسلامي يمكن أن نتغاضى عنه – فالهجوم على الإسلام ذاته هو ما يجعل الدكتور فرج استفزازيًا ومجرمًا. والدكتور فرج يرى أن الإسلام لا توجد فيه شريعة. وأنه لا تجربة واحدة في الحكم نجح فيها الإسلام ولا حتى تجربة الصحابة رضوان الله عليهم. على كل حال هذا هو الشق الأول من قضايا الدكتور فرج.

وبالطبع لم تكذب الأهالي خبرًا – فشادت بالكتاب وصاحبه ثم طاردته – فما أن ينطق بكلمة حتى تنشرها – وما أن يلقى محاضرة إلا وتنشرها – وما إن تدعو إلى مؤتمر حتى يكون الدكتور فرج على رأس المتحدثين والنجوم.

وإذا كانت الصحف الأخرى – كالمصور والأهرام قد استخدمت الدكتور فرج في مهمة محددة وهي الهجوم على التيار الإسلامي وتجربة الإسلام في الحكم – فإن الأهالي قد فاقتهم جميعًا.

إلى هنا والأمر مفهوم – فالهجوم على الإسلام والتيار الإسلامي أحد أهم أهداف العلمانيين عمومًا – واليسار الأمريكي خصوصًا.

ولكن إذا عرفنا أن الدكتور فرج فوده – هو رئيس ما يسمى بحزب المستقبل – وأنه وفدي لحمًا ودمًا على حد قوله – وأنه خرج من الوفد أو طرد منه لأسباب لا تهمنا، وأن حزبه الذي أسسه يميني جدًا، وأن الدكتور فرج وحزبه يؤمنان بحسن الجوار مع إسرائيل ويؤيدان كامب ديفيد – بل إن السفير الإسرائيلي زبون دائم على

مائدة العشاء في منزل الدكتور فرج فوده – وأنه يتباهى بذلك – وأنه معجب بالنظام الأمريكي وبالممارسات السياسية الأمريكية في المنطقة لأدركنا على الفور سر الحماس والتبني الذي قامت به «الأهالي» تجاه الدكتور – والأهالي والدكتور فرج في حب أمريكا سواء.

◆◆◆

obeikan.com

الحجاب

قضية الحجاب – من القضايا التي شغلت اليسار الأمريكي كثيرًا – وصحيفة الأهالي استدعت من كل حدب وصوب كل مَنْ يريد الطعن في الحجاب وأفردت الصفحات لحسين أحمد أمين وغيره للكلام عن الحجاب والتخلف والتقدم إلخ. وفريدة النقاش لطمت الخدود وشقت الجيوب عندما طالب أحد وكلاء وزارة التربية والتعليم الفتيات بالالتزام بالزي الإسلامي.

وإذا كان الكثيرون استغربوا من هذه الحملة الضخمة فإننا لم نستغرب، وإذا كان الكثيرون قد عجبوا لماذا كل هذا الاهتمام – هل أصبح الحجاب قضية قومية مثلاً. فإننا لم نعجب – والسبب في عدم عجبنا أننا ندرك أن الحجاب سيؤدي إلى ظهور نمط في الأزياء خاص بنا وهذا يقلق بال محلات الموديلات وشركات الأزياء العالمية التي تريد أن تظل سوقًا لترويج منتجاتها وتقليعاتها – كما أن الحجاب سيؤدي إلى انتهاء عصر المساحيق وأدوات التجميل في مصر وهذا يقلق بال شركات التجميل. لأنه سيتطور إلى توفير كل المبالغ التي يختلسها هؤلاء من ميزانيتنا بهذه الأدوات، وإذا كان الحجاب خطرًا على شركات الأزياء ومراكز تصدير أدوات التجميل. فهو أمر يقلق اليسار الأمريكي قطعًا.

فإذا أضفنا إلى ذلك أن الحجاب أو الزي الإسلامي كان أحد أدوات الكفاح الذي خاضته المرأة الجزائرية والإيرانية ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر والاستعمار الأمريكي في إيران – لعلمنا سر تلك الحملة التي قامت بها «الأهالي» ضد الحجاب.

نقطة أخرى جديرة بالتسجيل – وهي أن الاستعمار يهدف دائمًا إلى إضعافنا اقتصاديًا ليسهل عليه السيطرة علينا – وأن توفير تلك الأموال المنفقة على الأزياء غير الإسلامية ستؤدي إلى شيء من العافية الاقتصادية لبلادنا هي بالتأكيد خطر على الاستعمار.

ومن ناحية أخرى بأن ضياع وقت المرأة في استخدام الأزياء والمساحيق هو بالتأكيد ضياع لساعات كان يمكن أن تستخدم في زيادة الإنتاج أو توفير الراحة للأبناء وخلق مناخ صحي يساعد على زيادة الإنتاج والحجاب قطعًا دافع قوى لتحقيق جدية المرأة في عملها وفي علاقاتها وكل هذا يؤدي إلى زيادة الإنتاج والنهوض ببلادنا.

هل فهمنا الآن سر الحملة على الحجاب؟!

◆◆◆

التحريض على الاتجاه الإسلامي

أحد أهم ميزات جريدة الأهالي أنها دائمًا في حالة تحريض للحكومة على ضرب الاتجاه الإسلامي. فهم خطر على الديمقراطية مثلاً – وهم يمارسون إرهابًا على زملائهم في الجامعة – وهم يضربون الأساتذة. وهم لا يتحاورون بل هم مستبدون – والأهالي تنشر دائمًا أخبارًا ملفقة عن أوكار للسلاح مع عناصر الاتجاه الإسلامي – أو إن الإخوان مثلاً يريدون مرشدًا عنيفًا أو له تاريخ من العنف – كما أن الأهالي مثلاً تقدم تحليلاً يتهم الإخوان بتدبير حادث المنشية برغم أن المحكمة برأت الإخوان من هذه التهمة – وسيل التهم لا ينقطع. وبديهي أننا لن نناقش هذه الأشياء. سنكتفي فقط بتقديم نموذج.

حين فاز الاتجاه الإسلامي بانتخابات نوادي أعضاء هيئة التدريس قامت الأهالي بندب حظها ولطم خدها وقطع جيبها– وتعجبت كيف يفوز الإسلاميون بأصوات أساتذة الجامعة – وقالت الأهالي إن هذا خطر على الديمقراطية – وحذرت: الفاشيون قادمون.

ونحن هنا نسأل هل من احترام الديمقراطية التي تدعونها أن تنزعجوا من انتخابات جاءت بالاتجاه الإسلامي – أم الديمقراطية والانتخابات مكفولة للجميع ما عدا الإسلاميين– وهل الذين دخلوا الانتخابات – فاشيون. وهم لم يدخلوها بموانع بل ببرامج والواقع أن هيئات التدريس هي أنضج فئات المجتمع المثقف – فلماذا لا تحترمون رأي هذا القطاع المحترم؟!

نعم – إنهم يساريون وخونة.